فتح القدوس

بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

فتح القدوس

بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٠٩٠٤م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-154-4

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

فتح القدوس

بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس

أملاها على طلابه

فضيلة الشيخ العلامة / ابراهيم محمد زين

جمع وإعداد

د. أحمد خضر حسنين الحسن

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أحمده تعالى أكمل حمد وأجله وأعظمه وأبلغه وأفصحه وأوسعه وأفضله وأكثره بركة وأحسنه قبولًا لديه وأكثر ثوابًا عنده ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فالحمد لله.

أحمده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتمجَّد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأحمده على تفرده بالملك والملكوت ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ فالحمد لله.

أحمده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على جميل عطائه وحسن عنايته ورعايته ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فالحمد لله.

أحمده على جميل ستره وعظيم عفوه ومغفرته فلولا ذلك لكان حالنا على شفا جرف هار ومصائب ومهالك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ فالله أرجو منه المغفرة والحمد لله.

أحمده تعالى على هدايته وتوفيقه وسوقنا إلى الخير وسوق الخير إلينا وليس لنا من حول ولا قوة إلا به تبارك عطاؤه وحسن فينا رجاؤه، فلولا هدايته وتوفيقه لما قمنا بطاعته، ولولا فضله ومنته لما كففنا عن معصيته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ فالحمد لله.

أحمده تعالى على جميع نعمه الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فلله الحمد على صحة البدن وعافية الذرية وله الحمد على أن جعلنا من الأمة المحمدية ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ فالحمد لله.

أحمده ربي بما حمده به الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحون والعلماء العاملون: «ولا أحصي ثناءًا عليك ربي أنت كما أثنيت على نفسك».

فالحمد لله على قولي الحمد لله والحمد لله على أن ألهمني الحمد لله، والحمد لله على أنه أجرى قلمي بـ«الحمد لله» والحمد لله على أن حبَّب إلي «الحمد لله».

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الباقيان ما بقى انسي أو جان وما تحرك بهما لسان وما غفل عنهما جنان على سيدنا محمد صاحب الوسيلة والفضيلة الذي أعلى الله قدره ورفع له ذكره وجعله من أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا وأكمل المخلوقات علمًا وعملًا، وأشد الخلْق حبًّا لله وأفضلهم تقربًا إليه وثناءًا عليه، أوتي الحكمة وفصل الخطاب بل أوتي جوامع الكلم الباهر والبيان الظاهر والدعوة التامة والحجة البالغة والأدلة الساطعة والدين الحنيف والطريقة السمحة فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الخصائص التي لا تعد ولا تحصى من فضل ربه الأعلى ويكفي أن الله صلى عليه وأمر بذلك الملأ الأعلى وأنه قال له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ فكان ذلك العطاء شاملًا للآخرة والأولى.

وبعد: فإنَّ من أجل نِعم الله عليَّ أن جمعني بالشيخ العارف بالله إبراهيم محمد زين الذي فتح الله عليه من العلوم ما لم يخطر لي على بال: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾، ومن فضل الله عليه أنه: أعطاه من فهم القرآن وحسن تدبره وحسن البيان عما أفهمه الله إياه ما لم أجده في كتاب من كتب السابقين ولم أسمعه من أحد من العلماء المعاصرين، فتلك نعم عديدة وأفضال وفيرة وفريدة، لأنه ربما تجد من يتدبر القرآن ولكنه يعجز عن بيان ذلك باللسان ولهذا لا يكون له أثر فيمن حوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:١-٤]، فكان ما أعطيه من حسن البيان نعمة تضاهي نعمة تأويل القرآن، ولسنا بصدد الحديث عن شيخنا حفظه الله فلنمسك عن ذلك الآن.

ولم يتوقف فضل الله عليَّ بذلك الاجتماع بل جعلني أتابع الحضور لدروسه في تأويل القرآن حيث بدأ من أول سورة البقرة إلى ما بعد المائتين وعشرين آية منها، كما كانت لنا معه جلسات في غير مجالس التأويل يتكلم فيها الشيخ عن أحوال الأمة مصححًا للمفاهيم ومبينًا للصحيح من السقيم لكثير من الآيات والأحاديث ومرشدًا لمكارم الأخلاق ورافعًا للهمم في ملازمة العبادات والبعد عن السيئ من التقاليد والعادات، فكان لتلك الدروس وتلك الجلسات الأثر الكبير في جميع مَن وفقهم الله تعالى لحضورها والانتفاع بها.

ومما بثه الشيخ حفظه الله من علم بعضًا من الفوائد التي قلما تجدها في كتاب أو تسمعها من محاضرة أو خطيب فأحببت أن أدونها منفردة قبل كتابة التفسير والتأويل لسورة البقرة.

فكان الدافع لتسجيل تلك الفوائد أولًا ثم نشرها ثانيًا أسباب كثيرة منها:

١- المحافظة على علم الشيخ ونشره وليستفيد منه أكبر عدد من المسلمين.

٢- أن العاقل إذا سمع علمًا لابد وأنه يكتبه لئلا ينساه فمهما كانت المعلومة هامة وواضحة جلية فإنها لابد وأن تُنسى بعد مدة من الزمن، ولهذا أحسن القائل:

العلم صيد والكتابة قيده — قيِّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أنْ تصيد غزالة — وتتركها بين الخلائق طالقة

وأحسن من هذا قول الله تعالى: ﴿ عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق:٤-٥]، فما لم يكتب الإنسان العلم فإنه لن يتعلم.

٣- إفادة إخوانه طلاب العلم، الذين حضروا تلك الدروس ثم إفادة غيرهم من الطلاب والمشايخ والعوام.

❋ وبعد هذه درر وفوائد:

❋ بعضها يعرِّف بأسماء وصفات الرحمن ويزيد في الإيمان ويرفع الهمة للتأمل في عجائب القرآن وسترى ذلك ـ إن شاء الله ـ رأي العيان.

❋ وبعضها يبين لك فضائل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرفيع مقامه، الواجب تعظيمه واحترامه، ويلفت انتباهك إلى وصاياه، ويكشف لك عما الله آتاه، من بليغ الكلام، وبديع النظام، مما يدل على القول السديد، والرأي الرشيد، والبعد عن العنت والتعقيد.

❋ وبعضها يهذب النفوس العصية، ويشفي من الأمراض القلبية، وينبه على الآداب المَرْضيّة، ويسمو بالحالة الروحية، ويرشدك إلى الطريقة السوية.

❋ وبعضها يرفع الهمة إلى الانشغال بأفضل العبادات وتلاوة الآيات والترفع عن سيّئ العادات والبعد عن السفاسف من الأمور المبعدة عن رب الأرض والسموات.

❋ وهي بجملتها تجذب قاريها فهو دائمًا متأملًا فيها ولا يكاد من يريه يخليها، قائلًا الحمد الله الذي جعلني ممن يقتنيها، شاكرًا لمعطيها.

ولأجل ما سمعت من مناقبها وفضائلها سميتها بـ (فتح القدوس بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس) وإنما كان اختيار اسمه تعالى القدوس لأن حظ العبد منه أن يطهر نفسه كي تغدو مؤهلة لتكون في جوار الله في الجنة، لأن الله طيب، ولا يقبل إلاّ طيبًا، وهذا المعنى هو جل ما ترمي إليه هذه الدرر والفوائد.

وتحدثا بنعمة الواحد العلام انتقيتها من كلام شيخنا ـ حفظه الله وسدد خطاه ـ في بضعة أيام وجاءت بفضل الله تعالى بواضح العبارة ولطيف الإشارة وفصيح الكلام، مُوضِّحةً الحق والصواب لأهل الإسلام، دون تجريح لأحد من الخواص أو العوام والتزمت فيها بما ورد عن سيدنا محمد خير الأنام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«ما بال أقوام»**.

وإنما قلت هذه المجموعة لأن هناك مجموعة أخرى لها شأن آخر.

وأخيرًا أذكر هاهنا شيئًا هامًا ألا وهو أنني كنت أكتب رءوس الموضوعات أثناء كلام شيخنا حفظه الله ثم بعد ذلك كتبت تلك الفوائد بعبارتي في بعض الأحيان وبعبارة الشيخ في بعضها الآخر ولكن لن يوجد هناك اختلاف في المعنى أو ذكر معنى لا يقصده الشيخ أو معنى لا يوافق عليه، وليعلم القاري الكريم أن هذه الفوائد جاءت كنوع من الاستطراد أثناء دروس التفسير ولهذا لن تجدها في كتاب التفسير.

وأختم بقولي جزى الله عنا الشيخ إبراهيم محمد زين خير ما جزى عالمًا عن علمه وداعيًا عن دعوته ونسأل الله أن ينفع بعلمه ويعلي قدره ويرفع درجته ويجعلنا وإياه مع الأنبياء والصديقين.

والحمد لله أولًا وآخرًا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أخوكم

د. أحمد خضر حسنين الحسن

الدوحة - منطقة النجمة

صباح الثلاثاء ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٠١٣/٥/٧م

ƻ ƿyǢǩł Tɋə ƙƙɋ g ù ǩƐǭ ηǮΣƸơ

الشيخ العلامة إبراهيم محمد زين محمد توم.

– من مواليد جمهورية السودان وُلد في عام ١٩٥٨ .

– حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد أحمد أبو العزايم بمركز تحفيظ في منطقة الديوم الشرقية. ثم درس على يديه بعض مبادئ العلوم.

– درس بعض العلوم الإسلامية على يد الشيخ محمد أحمد خوجلى بالكلاكلة.

– درس المرحلة الابتدائية بمدرسة اتحاد الختمية بالديوم الشرقية.

– تلقى تعليمه الأوسط بمدرسة الخرطوم جنوب.

– درس الثانوي بمدرسة الخرطوم الجديدة الثانوية.

– من أشهر شيوخه الشيخ علي عثمان منير الذي يدرس مختلف العلوم: التقى به المترجم له في العام ١٩٧٣ التقى بالشيخ – بمنطقة الكلاكلة،فلزمه متعلمًا منه و مستقيًا منه علم السلوك و كان من أبرز تلاميذه ولشدة إعجاب الشيخ به زوجه من إحدى بناته و بعد وفاتها زوجه الشيخ من ابنته الأخرى.

– ابتعثه الشيخ علي عثمان منير إلى مصر ليدرس بالأزهر الشريف فالتحق بالمعهد الأزهري.

– درس بجامعة الأزهر الشريف بكلية أصول الدين فى العام ١٩٨١–١٩٨٤ في عهد الإمامين بيطار و جاد الحق على جاد الحق.

– في الأزهر الشريف تلقى العلوم التالية:

١– التفسير على يد الشيخ دكتور عبدالمنعم القيعي.

٢– الحديث و علومه على يد الشيخين د. أحمد عمر هاشم و د. إسماعيل الدفتار.

٣– الفقه على يد الشيخ إسماعيل صادق العدوي.

٤- العقيدة على يد الشيخ أحمد أحمد أبو السعدات.

عقب عودته من الأزهر: أنشأ خلوة -مركز تحفيظ للقرآن- بالكلاكلة صنقعت محطة (٢) منذ بداية الثمانينات و قام بتوسعته في السنين الأخيرة ليستوعب أكبر عدد من الطلاب.

أصبح في الفترة الأخيرة من أبرز العلماء والدعاة بالكلاكلة صنقعت بل وعلماء الإسلام في السودان.

أنشطته: يقوم الشيخ حاليًا بالدعوة إلى الله تعالى في عدد من ولايات السودان كالخرطوم وكسلا، بل وامتد نشاطه إلى خارج السودان.

- يركز في دروسه على تصحيح العبودية لله تعالى وتحسين الأخلاق، وربطه لتعاليم الدين بالحياة المادية التي تقوّى الدين و ترفع من شأنه.
- لقد فتح الله عليه في تفسير القرآن الكريم وربطه بواقع الناس.
- له اهتمام كبير بربط القلوب بعلام الغيوب؛ حيث يهتم بتدريس كتب الرقائق ككتاب مدارج السالكين لابن القيم ونحوه.
- له اهتمام كبير بتزويج الشباب ومحاربة مظاهر الانحرافات الأخلاقية ومن أجل هذا يقوم بالزواج الجماعي سنويًّا.

:ĞơĸĀDž ƐƩƛ Ǯ Ǭ

- يشتهر بالتواضع و يقوم بخدمة ضيوفه و جلسائه بنفسه.
- يتصف بصفات المسلم الخيّرة في لين الجانب للصغير والكبير وتقديمه العون لكافة ذوى الحاجة من المسلمين و السعي لمصالحهم والسعي لحل مشاكلهم.

- أثرت دعوته و دروسه في منطقة الكلاكلات وعموم ولاية الخرطوم وامتدت لولايات السودان المختلفة، كما امتدت إلى خارج السودان، ولقد ظهر أثرها دينيًّا واجتماعيًّا على منطقة الكلاكلات. وجميع الولايات المشار إليها.

- قام مؤخرًا بإعادة بناء و تجهيز و توسيع مبنى مركز التحفيظ القديم في منطقته على نفقته الخاصة و يخطط لجعلها مجمعًا إسلاميًّا لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية.

❁❁❁

[Č] ŊyŪǩā :ĶǾǅǯǳ Ǽə ʒķǾƛ ķǨǖǯǫ ǩł ѕ Ǽǖ Ǽə ŋəƸǖǭ ķƸǩł ǩł ỉ ĶǾǬ:

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أن: من واجب كل مؤمن أنه يبذل ما في وسعه ليعرف ربه سواء أكان ذلك بسماع العلماء أو قراءة كتبهم، وسواء أكانت تلك المعرفة عن طريق معرفته سبحانه من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العليا أو مِن خلال معرفته بطريق التأمُّل في أفعاله والتدبر لما بثه في الكون وهذه المعرفة مطلوبة إلى حد الضرورة لعدة أسباب:

أولًا: ليصح إسلامنا لأوامر الله الشرعية والقدرية: وأعني بالإسلام هنا الاستسلام والانقياد لأوامره ونواهيه والرضا بأحكامه فينا، سواء أكانت أحكامًا شرعية أو أحكامًا قدرية من صحة ومرض وغنى وفقر إلى غير ذلك من تقلبات الحياة البشرية.

ولتفهم الإسلام الذي هو الاستسلام انظر قصة إبراهيم وذبحه لولده إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: تبدأ منذ أن قال إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فأجاب الله دعاءه وأراه طريقة واحدة من طرق إحياء الموتى فحصلت الطمأنينة في قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم بعد ذلك يرى رؤيا مفادها الأمر بذبح ولده البكر الوحيد إسماعيل فيقول: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، كان جواب ولده المؤمن الثابت الإيمان: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وتمضي القصة في بيان استسلامهما لأمر الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصافات:١٠٣]، وهما كانا قبل ذلك مسلمين ولكن المراد هنا فلما استسلما وانقادا لأمر الله مع عظم ما ابتلاهما به ولكن مع ذلك لم يجد منهما إلا الرضا التام والصدق الكامل في الانقياد له سبحانه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٥].

وهكذا لو تتبعت عبادة الاستسلام في حياة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لوجدتها تعني الانقياد لأمر الله في شرعه وقدره ومن ذلك ما جاء في قصة بلقيس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤].

ثانيًا: ليدخل الإيمان في القلب: إن هناك من الناس من يستسلم لأمر الله ولكن بجوارحه ولا يكون عنده إيمان في باطنه؛ ولعمري تلك هي المصيبة الحقيقية، وقد ذكر القرآن هذه النوعية فقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤]، فأثبت لهم الإسلام ونفى عنهم الإيمان، ولا يكون إسلام بلا إيمان إلا إذا كانت المعرفة بالله ضعيفة ومن هنا كان سعينا الدؤوب في الازدياد من معرفة الله والبحث عنها أينما وُجدت وأنى كانت.

وقد أمر الله المؤمنين بالإيمان فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء:١٣٦]، وهذه المراد منها تجديد الإيمان لئلا يخلق في جوف العبد ومن هنا كان الأمر بالإيمان لأهل الإيمان يعني التحقق بالإيمان والثبات على الإيمان، والسعي في زيادة الإيمان، ولا يكون ذلك إلا بزيادة المعرفة بالرحمن وصدق الخضوع والإذعان وتلك هي الفائدة الثالثة.

ثالثًا: الانقياد طوعًا واختيارًا بل محبة واطمئنانًا: من الناس من يؤمن ويخضع ويستسلم على ما ذكرنا ولكن ربما تأتيه وساوس شيطانية مستنكرًا بقلبه بعض ما يقع من حوادث في الكون من حوله – القتل والتشريد في بعض البلاد – أو ما يقع له في خاصة نفسه من مرض ولده أو فقد ماله أو ما شابه ذلك مما تشاهده، فهذه الوساوس إنما كان السبب فيها هو ضعف المعرفة ببعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا كالحكيم والعليم والخبير، فلكي يحصل الانقياد لأوامر الله الشرعية والقدرية عن حب واطمئنان لا بد من معرفة أسماء الله والتأمل فيها كلما وجد الإنسان فرصة مع الاستمرار على ذلك، لأن الحياة متقلبة وقلب الإنسان أيضًا متقلب ولهذا كان الدعاء النبوي الشريف: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» [رواه الترمذي بإسناد حسن]، وعلَّل هذا الدعاء بقوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فمن شاء أن يقيمه أقامه ومن شاء أن يزيغه أزاغه**»(١).

ألا يستدعي هذا كله أن نعيش دومًا في ظل المعرفة بالله تعلمًا وتعليمًا وبحثًا ودراسة ووعظًا وتذكيرًا ثم عملًا وخضوعًا ثم إجلالًا وتعظيمًا، اللهم إني بلغت اللهم فاشهد.

:¬ǴƛȜ ỪƩŪ yƑÆə Ǵʦ ÃǱ ỪƩŪ ǰ Ǭ¼ ƫƩ‖ :Ŋyƒƕƙə [č]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ هذه الفائدة تابعة لتلك القاعدة الأولى ألا وهي أنه قد جاء في الأثر: «عن يحيى بن معاذ الرازي: من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهذا علم سَنيّ وسبب واضح جلي يوصل العبد إلى معرفة «ربه»، ولم يقل إلهه ولكن قال «ربه»، فلماذا لم يقل لمعرفة الله أو الرحمن ونحوها لأن هذا الاسم «الرب»، من ألصق الأسماء بحياة الإنسان وأقربها إلى نفسه؛ إذ يعيش آثاره ويراها في كل ساعة إما في نفسه وإما في الآخرين من حوله لأن الرب يعني الخالق وأنت مخلوق، والرب يعني السِّيد وأنت عبد.

والآن لنشرع في بيان شيء من معاني هذا الأثر:

۞ من عرف نفسه بالفقر الذاتي المطلق عرف الله بغناه المطلق الذاتي، والفقر الذاتي المراد به وجودك مفتقر إلى الرب لتظل موجودًا لأن روحك بيده، ولأن بقاء عمل جوارحك وحواسك في ظاهرك وباطنك بيده، فهو يبقيها بربوبيته لك، ففقرك مرآة لغناه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

۞ من عرف نفسه بالعجز التام عرف ربه بالقدرة التامة، ولهذا تكرر في القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومن هنا كان اللجوء إلى الله دومًا وأبدًا لقدرته على كل شيء جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) رواه الترمذي بإسناد حسن.

۞ من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة:١٦٥]، ولهذا ورد الدعاء: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي**»، وورد لا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ من عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم، وليس للإنسان علم إلا ما علمه الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٤-٥].

ومن الإشارات التي جاءت بمعنى الأثر في الحديث القدسي: «**أما علمت أن فلانًا مرض أما علمت أنك لو زرته لوجدتني عنده**» [صححه ابن تيمية في الجواب الصحيح (٣/ ٣٩٢)]، قال في الأعمال التي قبل زيارة المريض: «لوجدت ذلك عندي» أما في حق المريض قال: «لوجدتني» كيف يجد زائر المريض الله عنده، أي سيرى قوة الله وقدرته وعجز الإنسان وضعفه لأن الصحة بيد الله تعالى والمرض بيد الله.

:Ǻǩǩüơ Ż ł Ǻǩƒ ʒłƸǞǩł Ǽə Ɲɣɰǩə [Ď]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أَنَّ الله تعالى أمر بأوامر منها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي فمن الأوامر الحسية: الصلاة والصوم والزكاة وما شابهها، وهذه تطبيقها واضح بَيِّن لأنه حسي.

ومن الأوامر المعنوية ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، فكيف يكون الفرار إلى الله تعالى؟ جوابه: إنما يكون ذلك عن طريق اللجوء إلى كتابه العزيز حيث تبيَّن سبحانه أَنَّ الفرار منه لا يكون إلا بالفرار إليه، وذلك عن طريق توحيده والخوف منه والطمع فيما عنده والرغبة إليه سبحانه.

وكما أن الاستقامة الظاهرة يوجد من يحيد عنها ويقطع الطريق إليها فكذلك الفرار إليه يوجد من يقطع الطريق إليه ويحيد عنه بل الأمر هنا أشد، فعلى المؤمن أن يفتش في هذا السير المعنوي كيف يتم ومن هم الصادين عنه القطاعين عن الوصول إليه.

[ď] ŊɎƜƘə: ǥ ǯǸ ł â ǯƙǮǽ ƐǬǮǽ ÆĦĐzǽþ:

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره - أن في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ ﴾ [البقرة:٩٣]. فيها دلالة على أن الإيمان يأمر وينهى، فإذا كان إيمانك لا يأمرك بالطاعة ويحُثك عليها ويحركك لها، ولا ينهاك عن المعصية ويخوفك من عاقبتها في الدنيا، والآخرة أم كيف ترجو أن يكون هذا الإيمان جالبًا لراحتك في القبر ونعيمك في الآخرة.

[Đ] ŊɎƜƘə: Øǩ 5 ǥ Ǩ ǬƐǬ ǰ ÆǢơ:

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره- أنه ليس كل من نطق الشهادتين تقي: أي جعل بينه وبين المحرمات حاجزًا خوفًا من الله، والواقع خير شاهد، وبناءًا عليه ليس الشأن أن تؤمن بل الشأن أن تتقي الله تعالى لأنه كل تقي مؤمن وليس كل مؤمن تقي، بدلالة ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧]، وعلامة تقوى هابيل: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٨]، هذا ظاهر في تقواه، كأنه قال لأخيه: لست ضعيفًا ولا خائفًا منك، ولكن الذي يمنعني هو قولي: أمنت بالله، ولا أتصرف إلا على ضوء إيماني به تعالى، فهذا الإيمان هو الذي يقيِّد أقوالي وأفعالي وهذه هي التقوى في الحقيقة.

[đ] ŊɎƜƘə ơÄ ƨ ØƩǽŋ:

۞ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الحديد:٩]، إشارة واضحة إلى أن النور سبب في حفظ القلب من الزيغ، وختم الآية بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾، وفي هذا إشارة إلى صلة هذين الاسمين بالقلب، ويقوي هذه الإشارة ما جاء في آية التوبة: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١١٧]، وما جاء في سورة الحشر: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].

فانظر –أيدك الله بنوره– كيف ختم بهذين الاسمين في المواضع الثلاث عندما كان الحديث عن زيغ القلوب، فكأنَّ معالجة أمراض القلوب تحتاج إلى هاتين الصفتين الرأفة والرحمة،وذلك لرقة التعامل معها، وينبغي للمرء أن يستفيد من هذه الإشارة إلى أن يتعامل مع قلبه وقلوب الآخرين بالرأفة والرحمة عندما يجد قسوة أو غل أو حقد أو حسد أو زيغ حتى يصل إلى معالجة نفسه أو الآخرين، وهذا يعني أن الأمر يحتاج صبر وتأنٍّ.

ومن هاتين الصفتين قال بعض العارفين: إذا وجد العبد في قلبه زوغان عن الطاعة وميل إلى المعصية فعليه أن يكثر من قول: «يا رءوف يا رحيم» سائلًا الله أن يشفيه من هذا المرض الخطير والداء العضال.

[Ē] Nyſuƙə: ǰ ǭ ğǸā Ƶƙūǭ ǯƵƑ¼ Ɋǽ Ğ ǂŇǪ¬:

۞ قول معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الحديث المشهور: «إذن يتكلوا» دليل على أن الصحابة كانوا على يقين أنهم لن يقعوا في الشرك أبدًا.

ووجه الدلالة: أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر معاذًا على هذه الكلمة وقال: «**فخلَّهم يعملون**»، وإنما أمر بتركهم مع تلك البشارة بدخول الجنة بسبب التوحيد خشية أن يتركوا العمل اتكالا على توحيدهم وهو عين ما أثبتناه في حقهم رضي الله عنهم وأرضاهم في الدنيا والآخرة.

[ē] Nyſuƙə ǭƎƱǸƵƝ ǰ ǭ ƒ ƴyǽP ǡyƽƎÆ əÉÆ Ǖyǫ Ɨè ǓǬƐƗǯ ƛƙ äǕǯƘğ:

۞ في قوله في الحديث القدسي: «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها**»(١)، إذا عُلِمَ أن قوله «أوفِّيكم» يعني أردها عليكم ففي هذا إشارة إلى أن الله غني حتى عن توحيدنا له وإيماننا به، لأن التوحيد دخل ضمن «أعمالكم» فإذا كان توحيدنا أغلى ما نملك والله غني عنه فما بالك بما دونه من أعمال.

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٧٧).

:ηæΣØ ṡĀơ Ɲƴ℔Ꝁə [Ĕ]

۞ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ خطاب لإبليس ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ خطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دلالة على أن الله أصبح وكيلًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفظ الأمة من بعده من إغواء الشيطان لهم، وهذا المعنى عين ما جاء في الحديث: «**سنرضيك في أمتك ولا نسؤوك**»(١).

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يستشعر اسمه تعالى الوكيل ليتم له نعمة الإيمان والبقاء على الإسلام إلى آخر لحظة من عمره ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾.

كما أن هناك معنى هامًّا يؤخذ من الآية ألا وهو أن قوله (عبادي) يشير إلى أن عبادتهم ليس من أنفسهم ولا بحولهم ولا قوتهم بل بتوكلهم على الله تعالى، وهذا مفهوم هام جدا في التوكل لأن الكثيرين يتوكلون على الله في طلب الرزق ولكنهم لا يتوكلون على الله في حسن عبادته والتوجه إلى ذكره وشكره، ومن هنا وقع الخلل.

:ϱƙǵ ĠØⅢƨơ [Čċ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنه: في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام:١٢٢]، المراد: ميتًا أي قبض الله عنه روح العلم به، كانت الحياة هي الإقرار بوجود الله وبوحدانيته، ولهذا كان النور المجعول «جعلنا» له هو العلم بتوحيد الله تعالى، والجهل الذي هو الظلمات ظلمات عدم العلم بوحدانيته ومن هنا كان العلم بوجود الله وحده ليس حياة ولا علما بل جهل وظلمة بدليل آية الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ليس فيها التوحيد بل الإقرار بوجوده فقط ومن هنا كان حال المشركين ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨].

(١) صحيح مسلم رقم (٢٠٢).

[ČČ] ɘƘƕɣƝ ǵƘǭη ɘÆ łǩƣƩƛØη:

۞ من أراد أن يملك فليملك شهوته وليتحكم فيها وليصبر على ذلك، فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ملك حتى صبر عن الوقوع في الفحشاء، ولهذا كان صبره على الجب أيسر من صبره على امرأة العزيز لأن الأول إجباري والثاني اختياري.

[Čč] ɘƩā ƛØǰ ǕǫƷØǰ:

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أن هناك فرق بين العلم عن الله والعلم من الله: فأما علمك عن الله فهذا يحصل بسماعك لدروس العلماء وقراءة كتبهم التي يحدثونك فيها عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الحكيمة في الكون، والذي يعلم عن الله لا يعلم إلا ما هو كائن.

وأما العلم من الله فهو الذي يُوحي الله به إلى الأنبياء والمرسلين وهو لا شك علم غيبي كما قال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦]، والمشار إليه في سورة الفتح: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ [الفتح:٢٧]، هذا علم من الله تعالى وربما حصل هذا العلم لبعض الصالحين كما قال الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف:٨٢]، [سيأتي هذا المعنى موسعًا في كتاب التفسير إن شاء الله تعالى].

[ČĎ] ǁШŀΗη ρΣǸŦƛǗΗƘ:

۞ لو ذهب إنسان إلى قبر ولي من الأولياء وطلب منه شيئا معتقدًا أنه قادر على إجابة طلبه بإذن الله زعمًا منه، فهذا فيه فساد من عدة أوجه:

الوجه الأول: مجيء هذا الداعي إلى القبر فيه سوء ظن بالله تعالى أنه لا يستجيب دعاءه فاحتاج إلى جعل الوسائط بينه وبين الله تعالى.

الوجه الثاني: ما هي نوع علاقة هذا الداعي للقبر بالله تعالى – قبل أن نحكم بشركه في هذا المشهد – نقول: هل عرف الله من كونه حي، عليم، قادر، مقتدر، ولو عرفه بهذه المعرفة أكان يفكر مجرد تفكير أن يسأل غيره.

الوجه الثالث: أن هذا الداعي أظهر جهله بالله وجهله بكلام الله حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥].

الوجه الرابع: لو افترضنا جدلًا أن هذا الداعي ليس جاهلًا بالله بل جاء من باب الخوف من عدم استجابة الله له؟

فنقول له لماذا لا تبحث عن الموانع التي حالت بينك وبين استجابة الله لدعائك.

الوجه الخامس: فكِّر في هذا الولي الذي دُعي من دون الله هل يرضى بهذا الدعاء وهل يرضى عن هذا الداعي؛ إن كان وليًّا لله حقًّا فهو بلا شك لا يقبل هـذا التصرف بل حاله – أعني ذلك الـولي – كما قـال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

الوجه السادس: ألم يعلم هذا الداعي أن الولي عبدٌ لله كسائر العباد فلا فرق بينهما سوى التقوى، والتقوى في يدك، ومَن طلبها وسعى في الوصول إليها وصل بإذن الله، لأن الله بيَّنها في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [سيأتي هذا المعنى مفصلًا في كتاب التفسير إن شاء الله تعالى].

ÆǕǅǩǂ ǨǜǨǋə ğǸ ƒ ŋØǮǪŪ ƠĞ ǅ [Čď] صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الأولى: إن الله تعالى أخبرنا أنه علم آدم الأسماء كلها والنبي صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن نفسه: «**أوتيت جوامع الكلم**» [صححه أحمد شاكر في عمدة التفسير(١٣/ ١٣٤)]، فدخل علم آدم الأسماء ضمن علم النبي صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوامع الكلم فكان هو الأعلم.

الثانية: ما من أحد إلا وفي عنقه حق لأحد من الناس ممن يعاشرهم إلا رسول الله ﷺ فله المنة على كل أحد لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران:١٦٤]. وقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما من نعمة دينية أو دنيوية إلا ورسول الله ﷺ هو السبب في وصولها إلينا»، قال ذلك في مقدمة كتاب الرسالة، ولأجل هذا المعنى كان رسول الله ﷺ أولى بكل مؤمن من نفسه كما قال الله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب:٦].

الثالثة: من فضائله ﷺ أنه أول من شهد لله تعالى بالألوهية دل على ذلك قوله ﷺ: «**إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»(١)، ووجه الدلالة أنه ما دام قد أعطي النبوة فهذا يعني أنه سيدعوا إلى عبادته وحده سبحانه وما لم يشهد له بذلك فكيف يدعوا إليه، وأما شهادته ﷺ لله بالربوبية فهي كانت مع سائر البشر يوم أن قال الله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ فتبين سبقه ﷺ في توحيد الألوهية على جميع البشر حتى الأنبياء والرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

الرابعة: ومن فضائله ﷺ ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ**﴾ [الأعراف:١٩٦]، لم يقل إنَّ وليِّ الله الذي هو على كل شيء قدير أو نحو ذلك مما يستوجب النصرة والحماية بل قال: ﴿**ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ**﴾، أليس في هذا إشعار بأن صلته ﷺ صلة بالله تعالى ذاتية وليست عن طريق الأسماء والصفات وحدها لأنه قال: ﴿**ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ**﴾ وليتضح هذا المعنى نقرب مثالًا: أنت طالب في الجامعة وقرر الدكتور كتابًا قد ألفه لدراسة مادته ولك علاقة مع الدكتور -مؤلف الكتاب- فما هو شعورك وأنت ترى زملاءك وهم يتعاملون مع الكتاب من حيث الدراسة والفهم، إنك

---

(١) صححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (١/ ١٨٥).

تقول في نفسك: «عن أي كتاب تتحدثون، المؤلف صديقي»، ولا شك أنك أعلى منزلة منهم في صلتك بالكتاب وبمن ألفه، وعليه فكأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الله سيتولى حفظي وحفظ كتابي من كيدكم» ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٥-١٩٦]، فانظر ما أعظم صلته بالله وأوثق صلته بكلامه تعالى.

الخامسة: من فضائله ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٦]، الآية وردت ليقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمشركين أنني لم أدَّعِ النبوة قبل الأربعين وهذا يدل على أنني نبي من عند الله لا من عند نفسي بدلالة مضيِّ هذه المدة كلها من عمري، ولكن هناك معنى آخر يدل على عظيم فضله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا هو أن عمره السابق للرسالة لم يكن فيه ما يعاب ولا يخدش بل كان عمره كله مثالًا لحسن الخلق ومكارم الأخلاق وجميل الصفات حتى قيل: لم توجد حياة إنسان مكشوفة لجميع الناس على مر تاريخ البشرية إلا حياة سيدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان فيها ما يُخشى من اطلاع الناس عليه أو فيها ما يعاب لكان أوَّل مَن أفشى ذلك هم كفار قريش بل قال قائلهم: «والله ما كان محمد ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله»، وقال هو أو غيره: «تركتم محمدًا حتى شاب عارضاه فقلتم كذب؟؟»، وما أشرت إليه يؤخذ منه أننا من واجبنا أن نبحث عن حياته قبل البعثة النبوية.

[ČĐ] Nyƕƙə: ğǸf ǯƷf ƙǸǢüǽ ÁǫŰ ǟłƸə 5Ǹǽ ǜ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ:

يا ترى ما سبب الحزن الشديد من يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من فراق يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع علمه أنه سيعيش حتى يكون نبيًّا -بدلالة الرؤيا التي رآها يوسف حين كان صبيًّا- السبب في هذا الحزن أن ذلك من طبيعة البشر ولو كانوا أنبياء، أخذنا ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]، وكما أنه لا تبديل لخلق الله كذلك لا تبديل

لكلمات الله، وكلمات الله هنا إخبار يعقوب بأن يوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سيكون نبيًّا وهذا مما زاد في حزنه والتألم لفراقه عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

۞ وقد استفاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا الحزن حيث اشتكى ذلك إلى الله وحده فعلَّم قومه والناس من بعدهم أن الشكوى لا تكون إلا إلى الله وحده فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وإنما أداة حصر أي لا يشكى حزنه إلى الله وحده.

:ǮǨǯǽ ǡ Ƚ ƟǨǬǨǢǬ ƴ ƒ ǫ Ǻǩ ŋǬǨǵ ŋǪǞǩ [Čđ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ:مقام القربى المشار إليه بقوله تعالى في الواقعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، هؤلاء المتبعون بإحسان هم المقربون، وقبل أن نبيِّن موقع مقام القربى من بين مقامات الإيمان: اعلم أن المقصود: هم الذين قرَّبهم الله فلم يقل المتقربون بل كان تقربهم إلى الله من فضل الله عليهم ولا عمل لهم فيه، فذلك مقام بين النبوة والصديقية وأبو بكر هو إمام الصديقين وهو صاحب الصديقية الكبرى، والله أعلم.

:ǮǨǯǽ ǡ Ƚ ğƸǨǄǬ ǰ Ǭ ǹƸƱǫ ŋǩƷǄǬ Ǻǩ ŋǪǞǩ [ČĒ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ: منزلة تسمى المستصحبة وهي التوبة.

والمقصود منها أن العبد لا يزال تائبًا مهما ترقى في مقامات الإيمان ولنضرب لذلك مثلًا: إذا انتقل العبد من منزلة الرجاء إلى الخوف فعليه أن يتوب لأنه ترك الرجاء وانتقل إلى الخوف واستصحاب التوبة مطلوب إلى آخر العمر كيف لا وقد أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، وكان ذلك في آخر حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد غزوة تبوك.

:dzKШQDZƗ ƠĀǩ [Čē]

أعظم نعمة ينعم الله بها عليك بعد الإيمان أن يقذف في قلبك الإحساس بنعمته عليك سواء كانت نعمة دينية أو دنيوية، فهذا الإحساس يفوق كل النعم التي عندك.

:ηĂƙ ƒ âƗƥ ǬǪǖkƗ ǰØƛ ǟƸə [ČĔ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ: هناك فرق دقيق بين العلم والإحاطة فربما تعلم الشيء ولا تحيط به قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩]، فنفى الله عَزَّوَجَلَّ عنهم الإحاطة ولكن لم ينف عنهم العلم، وربما كَذَّبَ صاحبُ العلم بالشيء الذي لم يحط به علمًا كما دلت عليه الآية الكريمة.

ونحن نستفيد من هذا فائدة جليلة ألا وهي: ألا نسارع في الإنكار على إنسان عندما نرى منه أو نسْمع عنه ما يستغرب من أول وهلة فعلينا التريث حتى نحيط علمًا بما علمنا.

وأكثر ما يقع الخلاف بين أهل العلم هو التسرع في الإنكار والتشنيع على من يبلغهم عنه ما يستنكرون دون التبيُّن من واقع المتكلم في بعض المسائل المستغربة على السامع فربما لو تريث لقال مثل ذلك القول أو زاد عليه.

وهناك وقائع كثيرة عبر التاريخ الإسلامي تبين أن قلة العلم وضعف الإحاطة هما السبب في كثير من الأحيان في الوقيعة في أعراض العلماء والتنقيص من شأنهم والغض من مكانتهم، وانظر ما حدث بين ابن تيمية وعلماء عصره من عداوة، وما حدث بين الشعراني وبعض علماء عصره، وإلى يومنا هذا نسمع فلانًا يرد على فلان في المسألة الفلانية وربما يكون كلا الرجلين على حق وصواب لكن من وجهة غير الوجهة التي ينكر فيها على صاحبه فنحن في حاجة إلى أن نحيط علمًا بما نتكلم والله أعلم.

[čċ] ƒł ʒz ǰǭ ǱF Ğ ʒĸ ŘNJə ł Ż ÁǭŪ Ljũň ǳYĸШŪ:

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ: من الناس من ينظر إلى عِلمه وعمله وصلاحه وتقواه وكثرة عبادته أو ينظر إلى دعوته وكثرة مؤلفاته وإعجاب الناس به وشهرته والقبول الذي أُعْطيه، فيظن مع هذا الخير كله ألا أحد أعلم منه ولا أحد أكثر قربًا من الله منه، وذلك ظن خاطي وارجاءُ، ورأيٌ شيطاني لعدة أدلة:

الأول: قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [النساء:٤٩-٥٠]، والآية نزلت في اليهود ولكن لا فرق بين اليهودي وغيره في ادعاء تزكية النفس ووصفها بالوصول إلى مدارج الكمال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ** ﴾ [الأحقاف:١١]، هذا كلام الكفار الذين رأوا أنفسهم سادة وقادة في مكة ولا أحد أفضل منهم قالوا هذا عن ضعفاء المؤمنين، وربما تجد من الدعاة والعلماء مَن إذا سمع عن عمل صالح أو عِلم عن أحد علماء المسلمين تكلم في علم أو معرفة بالله تعالى أنكر ذلك وقال: لو كان هذا حق لعلمت به، ويظن أن فضل الله مقصور عليه وتلك لعمري من أعظم المصائب أن يرى نفسه لطول باعه في العلم أو الدعوة وعدد السنين التي قضاها في سبيل ذلك ربما تصل إلى الخمسين سنة، ثم يأتي من لم يصل إلى سن العشرين فيفتح الله له من العلم والعمل ما لم يبلغه صاحبنا في عمره الطويل، لو أنكر ذلك نقول له: ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد:٢١]، فلا تحجر واسعًا ولن يظلمك الله أجر دعوتك وعلمك، واحذر من الوقوع فيما وقع فيه كفار قريش فتقول كما قالوا: ﴿ **لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ** ﴾، فانظر عمن يتحدثون وعن أيّ خير يتكلمون؟!.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ** ﴾ [النجم:٣٢]، فقد نهى الله عن مدح الإنسان نفسه بما عنده من صالحات كما نهى جَلَّ وَعَلَا عن تبرئتها من الآثام والسيئات: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(١).

فلو سمعت أيها الداعية الكريم من يتكلم في العلم وكان أصغر منك سنًا وعلمًا في نظرك فتذكر هذه الآيات الثلاث واسأل الله من فضله.

:ďzyĐžĸÆǭ Áǩƒ ğŇĐžŇǩƚƥ ǯďƸÆǩƚ Ƹƛyǭǩ ηǮǶǭ yƜƚŇə [čČ]

١ – اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أن: من أجمل ما في القرآن الكريم عند تدبره أن تأخذ الكلمة منه وتجول بها في القرآن كله من أوله إلى آخره فتعرف المعاني التي تحتملها وستجد أنَّ تلك المعاني يكمِّل بعضها بعضًا؛ فمثلًا كلمة التقوى في القرآن وردت عشرات المرات فإذا جمعتها بين يديك وصلت إلى مفهوم التقوى وصفات المتقين وثواب المتقين في الدنيا والآخرة، ومكانتهم الخ [هذا يسمى التفسير الموضعي].

٢– يجب على القاري للقرآن أن يميز بين كلام الله تعالى وبين ما حكاه من كلام الآخرين فمثلًا حكى الله قول مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران:٣٧]. وقول بلقيس: ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا** ﴾ [النمل:٣٤]، وهذا كثير في القرآن كما هو معلوم، والمقصود من هذا اللفتة أن التفسير للكلام المحكي يختلف عن تفسير كلام الله تعالى [وسيأتي زيادة بيان لهذا الكلام في كتاب التفسير].

٣– التفسير ليس مطلوبًا لذاته بل هو وسيلة للوصول إلى التدبر الذي يوصلك إلى معرفة الله تعالى ومعرفته لا تتم إلا من خلال فهم كلامه ولهذا كان التدبر بعد التفسير والمعرفة بعد التدبر، ومن عرف الله تعالى وحَّده وعلم أنه هو وحده المستحق للخضوع والحب والتذلل التام والانقياد الكامل والرضى بأوامره وأقداره، ولذا قال

(١) رواه الترمذي بإسناد حسن.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، أي ليعرفون.

ومن هنا نقول: من عرف الله أحبَّه ومَن أحبَّه اتبع نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، فرجع الأمر في شأن التدبر إلى فهم كلام الله تعالى ثم معرفته ثم محبته ثم اتباع نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن وصل إلى هذا سهل عليه فعل المأمورات وترك المحرمات واجتناب الشهوات متوكلًا على ربه متبعًا نبيَّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

٤- اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أننا وجدنا القرآن الكريم في ترغيبه وترهيبه ودعوته يضع أمام الإنسان خيارين ويبين له مزايا كل خيار -ما له وما عليه- ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩]، مع أنه تعالى حرمها فيما بعد لكن لم ينسخ هذه الآية من التلاوة لأن ما قيل في الخمر والميسر لم يتغيَّر وهو حصول المنافع ووجود الإثم والضرر لكن حرمها لغلبة إثمها على نفعها، فمن المنافع في الخمر والميسر المال العاجل ولكن من المضار ذهاب العقل وضياع العرض فأي عاقل يوازن بين المضار والمنافع سيتركها ولو لم يرد تحريمها.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فبين هنا أن الشيطان ينهى عن الإنفاق ويخوِّف من الفقر والله يعد المنفق بالفضل وهو الزيادة، فأين تخويف الشيطان عن وَعْد الرحمن لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولسنا هنا بصدد تفسيرها ولكن أردنا الإشارة إلى موضع الشاهد منها.

وكذلك تجد في القرآن الموازنة بين مزايا الدنيا ومزايا الآخرة، فالله تعالى بيَّن ما ذا سيعطيك في مقابل ترك لذات الدنيا إنه سيعطيك أضعافها في الآخرة، فمهما فكرت في لذة في الدنيا إلا وجدتها في الآخرة أتم وأعظم، ومن أهم الفروقات أن الدنيا زائلة والآخرة دائمة، ولهذا قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا متعة في لذة تعقبها النار ولا ألم في تعب يعقبه الجنة».

وهكذا لو تدبرت القرآن لوجدت هذه الإشارات في وضع ما بين المتقابلات من فروق كثيرة ومهمة والله أعلم.

:ηǭǨơ η ŏ ŪǸǭƿ ηǭǨǵ Ɲy/ĥǨə [čč]

۞ اعلم أيدك الله بنوره أن: من واجب العبد أن يتأدب مع السيد وهو الله جَلَّ وَعَلَا، وجماع الأدب أن يكون في السَّبب النّسَب، وقبل توضيح هذا الكلام اعلم أن المراد هنا أدب الباطن.

فالمراد بالسبب: أي أسباب الرزق أو أي نوع من الأسباب والأدب مع الله فيه ألا تدَّعي أنك أنت الذي أتيت بنتائجه فلا تدَّعي أن الوظيفة هي التي ترزقك ولا تدعي أنك توصلت إلى الوظيفة بحولك وقوتك بل الله هو الذي هيَّأ لك الأسباب وهو الذي هيَّأ لك النتائج والثمرات.

أما بالنسبة للأدب مع الله في النِّسبَ فالمقصود ألا تنسب الأشياء إلى غير حقيقتها أو إلى غير منشيها الأصلي وهو الله عَزَّوَجَلَّ فمثلًا: إذا مرضت وذهبت إلى الطبيب وأعطاك الدواء وحصل الشفاء فلا تقل عالجني الطبيب بل قل الله شفاني لأن الشفاء حقيقة هو من الله وليس من الطبيب بل إنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الطبيب هو الله**».

[čĎ] Ɲɣ/ʋƙə ǹƐƱƍ ηⅢæƐā ƘHƲDzǭ:

۞ اعلم أيدك الله بنوره أنه: ينبغي للعبد ألا يُدبِّر أموره سواء أكانت معيشية أو غيرها استنادًا إلى تدبير الله تعالى له فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [يونس:٣١]. جاء هذا الكلام على سبيل الاستفهام للكفار ثم أخبر أنه لا يسعهم في الجواب إلا أن يقولوا «الله» فانظر ضعف الاستناد إلى تدبير الله في حياة كثير من المسلمين، وتدبير الإنسان لنفسه هو الذي يجلب له العطب والشقاء وفي نفس الوقت يكون قد ترك سبيل الأدب، ولم يحقق صحة النِّسَبِ التي أشرنا إليها أعلاه، وكلمة مريحة لو علمها المؤمن وعمل بها لأراح نفسه مِن هم التدبير ألا وهي أن تعلم أن تدبير الله لك خير من تدبيرك لنفسك، لأن الله هو الرءوف الرحيم وهو المدبر الحكيم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وأجمل من هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣] فهل تفهم.

[čď] Ɲɣ/ʋƙə ơƐƛǸǽη:

۞ أعلم أيدك الله بنوره أنَّ المراد من كلمة ﴿أَحۡسَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]، أحسن عملًا أي لم ينسب العمل إلى نفسه بل نسبه إلى الله تعالى ودل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٨]، فَسبب السؤال عن الصدق هو إضافته إليهم «صدقهم» كيف وقد قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧]، وقال أيضًا سبحانه: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦]، وأيضًا: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي لا تنسبوا العمل إلى أنفسكم.

وهذا المعنى جاء واضحًا في الحديث الصحيح حيث كان يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حفر الخندق:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبَيْنا

[وسيأتي هذا المعنى موسعًا في كتاب التفسير إن شاء الله تعالى].

[čĐ] Ŋyŀŀkə Æə kKШ5ǫ ÁDzüķł ηÜKDzÆkĺþ:

۞ اعلم أيدك الله بنوره أن من أهم أسباب الغنى الاستقامة على دينه تعالى ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

۞ ومن أسباب الرزق الخفي، كثرة العبادة وإحسان العبودية لله تعالى ودليله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، فانظر كيف جاءها الرزق في المحراب وهو المكان المخصص للعبادة وأما قولها: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي من غير أسباب ظاهرة معهودة للناس وإلا فتفرغها للعبادة سبب في حد ذاته.

۞ ومن أسباب الحياة الطيبة العمل الصالح مع اعتقاد أنه بتوفيق من الله لا بحولك ولا بقوتك ودليله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

ولا حياة أطيب من التعرف على الله ولا سبب يؤدي إلى القناعة أفضل من التعرف على الله والقرب منه جعلنا الله وإياكم كذلك.

[čđ] DłʒΣ ǰǭ 5DzΣ Ǩʒüķł:

۞ ربما تجد والدًا يشتكي شكوى مريرة تتفتت لها الأكباد من عقوق ولده به، فلا يزال يعاني من ضربه وشتمه وسوء أدبه، ولكن تمهَّل ولا تعجب من هذه الحال لأنك لو

رجعت إلى أدب هذا الوالد مع ربه لوجدته معدوم تمامًا فهو لا يصلي ولا يزكي ويقطع الرحم ويشتم المسلمين ويسيء إلى الجار، فقلة أدبه مع الله أدت إلى قلة أدب ولده معه؛ ومن هنا كان من الضروري أن نراعي الأدب مع الله تعالى إلى أن نلقاه طلبًا لرضاه لا خشية من عقوق الأولاد؛ والله أعلم.

[ČĒ] ǭ ǰ ǻYŧǩ ĂǨǩŧ ŧǩūǖǬ:

١- أن يكون على ثقة في علم شيخه ومقامه الذي أوصله الله إياه، فلا يرفعه فوق قدره، ولا يبخسه حقه ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٩]، والمقصود من هذا الأدب يقينك في الشيخ أنه مؤهل للتربية وأنه يسلك بك سبيل الاستقامة والأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا الأدب سيؤدي إلى الالتزام ببقية الآداب الأخرى، أما إذا كنت في ريب من أهلية الشيخ فلا تصحبه منذ الوهلة الأولى لئلا تدخل شعبة من شعب النفاق فيخالف ظاهرك باطنك، ولا أظن أن عاقلًا يرضى بالنفاق لنفسه.

٢- إذا ظننت أنك مساوٍ للشيخ في مقامه أو ربما جاءك الشيطان فظننت أنك أرفع درجة منه فلن تستفيد منه شيئًا صدق الشاعر:

العلم حرب للفتى المتعالي ... كالسيل حرب للمكان العالي

ومن هنا كان تواضعك للشيخ وحرصك على الاستفادة من علمه وحاله وإرشاده أدب هام لا بد من التأدب به.

٣- من الآداب الهامة مع الشيخ ما ورد في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قبل موسى عليه الشروط التي أملاها عليه الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ كما طلب منه الصبر قبل ذلك كما هو معلوم، فأدب القلب المذكور في الآية أن تكون تابعًا للشيخ ولو كنت متبوعًا قبل حضورك إليه وانضمامك إليه وانضمامك إلى حلقته، وأنت تعلم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان متبوعًا ولكنه رضي أن يكون

تابعًا عند مجيئه إلى الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهذا يحتاج إلى صبر جميل لأنه كان متبوعًا ثم اختار أن يكون تابعًا احس بالنقص والهوان وهذه بالنسبة لنا نحن، أما موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يشعر بذلك لأنه جاء بأمر الله تعالى.

٤- يجب أن يكون طلبنا للعلم إنما لأجل الله تعالى وحده وانظر هذا في قصة الهدهد مع سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢]، فقبل سليمان من الهدهد هذا العلم ولم ينظر إلى صِغَر حجم الهدهد أو كونه من الطيور، وهذا الكلام يخاطب به من وصل إلى أعلى مدارج العلم الأكاديمي - الدراسات العليا - ولكنه لم يحط المعرفة بالله أو تأويل القرآن فيقال له الشيخ المربي ليس بأقل من الهدهد وأنت لست بأعلى من سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاقبل العلم عمن جاء به لو كان طلبك له لله لا لتترفع على خلق الله.

٥- من أهم الآداب: أن تعلم أنَّ الفتح الإلهي لا يتم إلا بعد أن يراعي الطالب عددا من الأعمال الظاهرة والباطنة الهامة، ومن أهمها:

١- المواظبة على حضور الدروس العلمية لدى شيخه دون كسل أو سقوط همة مع الاستماع الجيد والقبول التام لما يقوله الشيخ.

٢- الحرص على طهارة القلب من الأمراض المعروفة كالرياء والعجب والكبر والحسد وحب الدنيا.. الخ فكما أن البيت الذي فيه كلب لا تدخله الملائكة فكذلك القلب الذي فيه هذه الأمراض لا يدخله العلم الإلهي، إذ هذه الأمراض أشد خطورة من الكلاب في البيت.

٣- الحرص على أداء الفرائض والنوافل مع مراعاة الاتباع التام فيها لسيد الأنام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظاهر والباطن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:١٥٣]، والصبر على تلك الآداب حتى يفتح الله عليك مع العلم بأن الفتح ليس له وقت وليس له حال بل كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

قلت: قلما نجد من يراعي هذه الآداب في هذا العصر ولهذا طالب العلم وإن حصَّل علمًا إلا أنه لا بركة فيه ويشتكي من ضيق الوقت وكثرة المنافسين والبحث عن الرفعة على الناس والبحث عن الشهرة والظهور في القنوات والإذاعات وهذا كله من علامات قلة الانتفاع بعلمه والتقرب به إلى ربه والله أعلم بحقائق الأمور.

:ƝƸƱøƚƿ ƘØǊƴǩƚ Æə ǴØǩƑ ƘǄƣƩƘ ƭƥ Ż Ƙƛ 5 ǋäƚ ƝƴƒƘə [čē]

۞ تعلَّم أخي – أيدك الله بنوره – الأنس بالله والمراد بذلك أن تحب طاعته ومناجاته والوقوف بين يديه والمسارعة إلى الصالحات مع حضور القلب بل مع فرحه وسروره بذلك كله والاستئناس به والاستيحاش من ضده – أعني الغفلة والخوض مع الناس في كلام ضرره أكثر من نفعه – فسيأتي يوم لا تجد أحدًا من الناس تأنس به وذلك عند دخول القبر، ولن يؤنسك في قبرك إلا عملك الصالح فمن الآن استأنس به وعوِّد نفسك عليه واجعله مؤنسك في وحدتك قبل أن تبحث عنه فلا تجده، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، على ظهر الأرض وحين الموت ﴿ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ باطن الأرض ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عن هذا النوع من الأنس بالله تعالى والثبات عليه لأنهم كانوا مشركين.

:ƘǇȿǄƩ ǰǭ ǹƸƱǫ ƝƴƒƘə [čĔ]

۞ من الأنس بالله أن تجد طعماً لتلاوة القرآن وتجعل منه سفينة نجاة من عذاب الدنيا – الغفلة والبعد عن الله والوقوع في معاصيه – وسفينة نجاة من عذاب الآخرة، واسمع الله حين يقول: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾، إذا كانت تلك سفينة حسية كتب الله بها النجاة؛ فأنت الآن تصنع سفينة معنوية وكلما مر عليك أحد معارفك ورآك منشغلًا بالقرآن سخر منك وزعم أنك عاطل مضيِّع لعمرك حيث لن تكسب – في ظنه – شيئًا في الدنيا من وراء مجالستك للقرآن وأنسك به، ولسان حالك ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾، حيث لم يجد ذلك الساخر حلاوة

تلاوة القرآن وسماعه وتدبره وإذا كانت سفينة نوح صنعها للنجاة من الطوفان فأنت تصنع سفينة للنجاة من طوفان فتنة المال والنساء وغيرها حيث غرق كثير من الناس في ذلك الطوفان المعنـــوي ولسان حالك ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣]. بطوفان فتنة الدنيا ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ بالرجوع إلى كتابه والاستمتاع به وحسن عبادة الله.

:ηǪǾǪā Ϛ ă ƽǫ Ǽə ηǪǾǪΣ ηǮ Ǧ ƒ [Ďċ]

۞ مَن هو الذي يتمنى لقاء الله ويشتاق إلى الآخرة؟ هم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]، ففي هذه الآية دليل على أنَّ منَ كان وليًّا لله صادقًا في ولايته فإنه يتمنى لقاء الله ويشتاق إلى آخرته، مثاله كالمغترب الذي أرسل أموالًا وفيرة إلى بلده الأصلي فجهز بيته وجهز مشروعًا استثماريًّا يعيش منه، فمتى قيل له انتهت إقامتك من بلد الغربة لترجع إلى بلدك الأصلي قال هذا اليوم أنا كنت في انتظاره، فهل أنت في انتظار الموت وعلى يقين مما أعده الله لك في آخرتك. أم لا زلت غير صادق في ولايتك لله وغير واثق من عملك الصالح وإخلاصك فيه.

:ǰ ǽϚƱÄǩ ǼǬǮüǩł ΥΚǢǬǳ ȅł ǰ ǭ Ʒƶ ƒł ÜǳΚШǬǳł ƠǞǩ [ĎČ]

۞ اعلم أخي نور الله بصيرتك أنَّ في الدنيا أناس ممن عُرفوا بالدعوة إلى الله تعالى وانتسبوا إلى العمل الإسلامي جعلوا همهم التعييب على الآخرين وتوجيه أسهم النقد إليهم ونسي هؤلاء أنَّ مَن أراد ذلك فلا بد أن يكون خاليًا من العيوب كاملًا في العمل بالكتاب والسنة وليس له إلى ذلك سبيل ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

وما دام تمسكك بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمسُّكًا نِسبيًّا فكذلك الآخرون فاستويت أنت وهم في النقص وعدم بلوغ درجات الكمال ففيم النقد والتعيب؟

بل ربما كنتَ أنت أولى بالعيب منهم لظنك الخير بنفسك وظنك الشر بالآخرين.

ولهذا مَنْ عرف أنه ناقص وأنه مقصر في طاعته لله لزمه الأدب مع جميع الناس والتواضع لهم والبعد عن عيبهم وسلامة صدره تجاههم ولعله بعد ذلك ينجو.

لما غفل البعض عن هذه القاعدة العظيمة رأينا مَن قصَّر ثوبه وطوَّل في الدنيا أمله، وجمَّل ظاهره وخرَّب باطنه، فأين الرجوع إلى الأخلاق النبوية والشمائل المحمدية.

:ŃƐƱøƚ yǣƐǭƿ ƧƚƿƺǩƚyǣƐǭ ǰǾƛ ƞǅƷƘǢƷǩƚ Ǽə ƞǞǾǎǩ ƞǭ Ǧ [Ďč]

۞ من المعلوم أن الشاب المراهق أمنية حياته في الوصول إلى الزواج فإذا نظرت إلى باطنه وجدت الهمة العالية والانشغال التام بموضوع الزواج وإذا نظرت إلى عقله وجدت أن تفكيره لا يكاد ينقطع عن الزواج وإذا نظرت إلى جوارحه وجدته يعمل ليلًا ونهارًا ليصل إلى توفير المال ليصل إلى الزواج، فالزواج معه في ليله ونهاره وسره وجهاره والآن السؤال: هل مريد الآخرة والطالب لدخول الجنة كهذا الشاب المراهق في باطنه وفي عقله وعلى جوارحه أم أن الأمر بالاتفاق ودون أدنى تفكير أو اشتياق؛ قد وصف الله ذاك التائق للنكاح ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ [البقرة:٢٣٥]، فهل علم أنك ستذكر الآخرة مثل هذا؟ إذن لانصلح حالك وامتلأ قلبك بالشوق إليها ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢]، وإنما عبرنا بكلمة مريـــد في الحالين لوروده في القرآن ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [الإسراء:١٨]، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [الإسراء:١٩].

:ŃƐǾǆǅ ƚ ƒǨǅ ǰǭ Ǩǵ [ĎĎ]

۞ اعلم أيدك الله بنوره أنَّ العلم يفرق والإيمان يجمع قال تعالى في شأن العلم: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى في شأن الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، والنعمة هنا الإيمان.

والمشاهد في واقع أمتنا اليوم التفرق والاختلاف بين الجماعات الإسلامية فهل مِن إيمان يجمع ولا يفرق.

ونحن نفهم من الآيات السابقة أن هذا التفرق دليل على ضعف الإيمان عند البعض وانعدامه عند البعض الآخر وإلا كنا مكذبين للقرآن الكريم.

واعلم أن الله قال في شأن الطلاق: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهل يمكن أن نقول لهذه الجماعات المتفرقة ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ من الصلاة والصوم والقرآن وقبل ذلك توحيد الله تعالى.

وإذا وجدنا رجل امر نفسه في هذه الخلافات البغيض فلكي يرجع عليه أن يتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فليدخل في رحمة الله تعالى؛ وذلك بالالتفات إلى عيوب نفسه والبعد عن ذكر عيوب الآخرين كما سبق ذكره قبل قليل.

ولو قال قائل لست ممن يعيب الآخرين نقول له إذن أنت من البطئيين عن طاعة الله تعالى، ولا بد، فالجأ إلى العمل لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة:٤٨]، فلا بد من الاستباق إلى الخيرات اشتغالًا بها عن تلك الاختلافات والله هو الموفق لا رب سواه ولا إله غيره.

:ηǬǾ ƒ ǰ ǭ ǹǸÆǬǩƚ Æə ǨHuǩ 5 Ǿǩ 5 ÄDzǩƚ ǯǫ Æə ηǬǾǬΣ Ny̆ƒuǨə [Ďď’]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ الله إذا أراد بك الخير فتح عين قلبك لترى أن التقوى الحقيقية ما كانت منه إليك وليست منك إليه؛ كمن يركب المصعد فهو صَعد به إليهم فصار التقي – كالمحمول على المصعد – محمول على التقوى وبها ليصل إليه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ «اللهم آت نفسي تقواها» فلهذا قل دائمًا: هو الذي جاء بي إلى بيته ولو شاء لذهب بي إلى بيت داعرة، وهو الذي متع ناظري بالنظر إلى كتابه ولو شاء

لصرف نظري إلى الأجساد العارية والوجوه المتجملة للفتنة. وقل أيضًا هو سبحانه جعل قلبي ممتلئًا بحبه وحب كلامه وحب أنبيائه ورسله ولو شاء لجعل قلبي ممتلئًا بحب الكرة ولا عبيها والفن وأهله أو على الأقل أهل الدنيا وشهواتها، ولكن حقًّا الأمر كما قال مولانا: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور:٢١].

:Ǻǩǩǖơ Ż ł ηШϏǭ Ǽə ηǭÊǖǩłϷ ηϘǾƨŇǩł ǰǾƛ āƸĀǩł Ǽə Ɲуℓǩə [ĎĐ]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أن أهل المحبة لله تعالى درجتين:

إحداهما: قوم ادَّعوا المحبة فطالبهم الله تعالى بالدليل وإقامة البرهان على حبهم له فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]، فكان البرهان المطلوب أن يتبعوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عباداتهم ومعاملاتهم وأقوالهم، وبهذا أصبح الاتباع وسيلة للوصول الي حب الله تعالى.

الثانية: قوم أحبهم الله تعالى وهم أعلى من الفئة الأولى دون أن تكون منهم دعوى وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]، وهؤلاء يوفقهم الله تعالى لطاعته واتباع سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فاتباعهم علامة على حب الله تعالى لهم وليس وسيلة للوصول إلى مرتبة المحبة لأن الله تعالى قدم محبتَه لهم على محبتهم له فقال: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وما دام قد أحبهم فلا يمكن أن يطالبهم بالدليل.

وبعد هذا البيان المختصر للدرجتين فاسأل نفسك من أي الفريقين أنت؟ ولعلي أرشدك إلى دلالة تعرف بها نفسك ألا وهي: إذا كان فعلك للطاعات أصبح بالنسبة لك ضرورة لا تستطيع أن تدفعها عن نفسك بل أصبح من أهم ملاذ الحياة فتلك علامة على أنك من أهل الدرجة العليا في المحبة وأنَّ الله قد أحبَّك؛ وأما إذا كان فعلك للطاعات يحتاج منك إلى شيء من التكلف وتنتظر متى تنتهي من فعل الصلاة مثلًا فأنت لا زلت في محاولة لإقامة البرهان على حبك للرحمن، والله يتولى هداك لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

:ŋŽæƐ g ŋæđ ǰǭ ŋɯØ ɩ Ū Ɲyʃuƙə [Ďđ]

۞ قال تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، قال «لكل نبي»، ولم يقل لكل رسول مع أن للرسل أعداءًا، وإنما اختار التعبير بالنبوة ليدخل فيهم ورثة الأنبياء وهم العلماء، فلا بد أن يصيب العلماء ما أصاب الأنبياء من السب والشتم والاتهام بالباطل فمن لم يلتفت إلى هذا المعنى أساء الظن بالعلماء إن كان جاهلًا وأساء الظن بالله أن كان عالمًا ولكنه ليس وارثًا.

وانظر إلى تمام الآية: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ هاديًا العلماء لسعة الصدور والصبر على ما يقوله فيهم الجهلاء بل لا يسعهم إلا أن يشفقوا عليهم مما وقعوا فيه من السخرية بحملة العلم والنور إلى الناس فانظر ما أسوأ أثر أهل الجهل على العلماء وما أحسن أثر العلماء في الجهلاء وإنما أعني بالعلماء الورثة إذ كل وارث عالم وليس كل عالم وارث والله أعلم.

:ƘHʋQȐǭ ǹƐƷƼ Ɲyʃuƙə [ĎĒ]

۞ اعلم –أيدنا الله وإياك بنوره– أن قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور:٢٦]، وان كانت هذه الآية المراد بها الأزواج فالرجال الطيبون للنساء الطيبات فهي أيضًا عامة في عدة مجالات منها:

۞ الطيبات من الأقوال والأعمال والأحوال للطيبين من المؤمنين سواء كانوا من الرجال أو النساء.

۞ الطيبات من الأخلاق للطيبين من المؤمنين والمؤمنات هكذا يقال لكل شيء في الوظائف والأموال والجيران. الخ.

والفائدة المقصودة مِن هذا: مَن أثنى على زوجته ووصفها بأنها طيبة فهذا دليل على أنه طيب والعكس بالعكس.

وهذه الآية سنة إلهية في البشر وغيرهم فمن وجد في نفسه ميل إلى الخُبْث والخبثاء من الأعمال والأشخاص وجب عليه أن يعلم أنه خبيث مثلهم ولا فرق «الطيور على أشكالها تقع»، وكل إلْفٍ يميل إلى إلفه وكل جنس يأنس بجنسه ومن عجائب هذا الباب ما ذكره بعض العلماء أن الناس رأوا حمامة تطير مع غراب فتعجبوا من هذا المنظر فلما نزلا على الأرض فإذا هي عرجاء وهو أعرج فزال العجب.

ومَن هذه الآية تعلم خبث من اتهموا أمنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أطيب الطيبين فلا يحب إلا امرأة طيبة، فلا يسع من وصف عائشة بالخبث إلا أن يقول ذلك في حق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن قال به فقد كفر وإن نفاه فقد نفى التهمة الموجهة إلى عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ ولا يسعه إلا ذلك إن كان مؤمنًا وإلا فلا كلام لنا معه.

:[ČČđč Ǭāʒ ắʒƘƱɯǩł ƬǾƮDž] ¬ʒƴāϱ ëƿ ʒƴǼơ¼ ƝʒƘƱƣƽ ëł Ƥæƴ ƒ Ǽə Ɲƴƙƙə [Ďē]

۞ إشارة إلى الاضطرار قبل الاختيار، لأن من قال: «لا أقدر» دل على عجزه فلا فرق بينه وبين المريض، فهل نحن عندما ندعوا بهذا الدعاء نشعر بشعور العاجز المضطر، وما لم يشعر المستخير بذلك كان غير صادق في استخارته والله المستعان.

:ǰǾǭƘǵ ǰǾlǾǁ ǺǩƑ ƝʒƘǁƑ .[ǴǾǬǕ ǞǞƣǬ] ¬ǰæƴǩł Ɵłƶƛ ƸǞǑƘə¼ :Ƥæƴ ƒ Ǽə Ɲƴƙƙə [ĎĚ]

۞ **أحدهما**: كلمة «ظفر» تدل على أن هناك منافسة وإلا فمن حصل على شيء مع وَفْرتهِ لا يقال ظفر به، وهذا يدل على قلة «ذات الدين» ومن هنا كان لا بد التريث قبل الزواج.

۞ **الآخرى**: التعبير بـ«ذات الدين» ليقول لك الدين صفة ذاتية لها، فهي ليست متكلفة في تدينها بل تربت عليه ونشأت عليه.

[ďċ] ƝƴƙƏ :Ƥǽƴ⁄ƒ ¼ƠƟƸ ǥ Ǭ ƠƟƸ ǥ Ǭ àǵƣǴ¬ [ǅƬƬǴ ǩƏǸǍÆ ǩ ǭǩǥ]:

۞ لا فرق بينه وبين «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فدل على أنَّ خير أهل القرآن يظهر ويبين في خلقهم مع أهلهم، ومن لم يكن له خير في أهله فليس هو من أهل القرآن قطعًا وجزمًا بدلالة قول عائشة في حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «كان خلقه القرآن»، وقد قال عن نفسه وهو الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أنا خيركم لأهله**»، فاين أخلاق المتنسبين للدعوة وللقرآن وتحفيظه وتعليمه وتفسيره من هذه الدلالة الواضحة، هل أهلك يثنون عليك خيرًا يا صاحب القرآن ويا من نصب نفسه للدعوة للإسلام.

[ďČ] ƝƴƙƏ ÆƟƮǩ ƤǽƴƮǩ Ǩl5 ÆƜƊǩ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ǒ ǰ ǥǬ ǬǾǩǨǰ Ɨ Ż :

فقال: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله**»[1]، دل هذا على أنَّ الولي حقًا هو الذي أحبَّ الله حبًا جعله لا يغفل عن ذكره ولا يفرِّط في أمره ولا يقع في نهيه بل لا يغيب عن خاطره، فلهذا قال: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله**» فالناس إذا رأو متحابين ثم رأوا أحدهما منفردًا ذكَّرهم الحاضر بالغائب، ولك بعد ذلك أن تحكم على نفسك في صلتك بالله وولايته لك والله يتولى هداك.

[ďč] ƝƴƙƏ: ǽƐƠż ǒ ǰ ƒ ⁄Ƥǽƴ: ¼ƙǬƕǪ ÆƉƑ ǬƉƊƮƠ ǬǁǁƳ æ ǬǁǁƳ ƒ ǯǬǪƞ ǕƠǁ ǁ Ǥ
ǬƊÊǁ ǦǦ Ǥ ¬ [ǲǐǱ ÆǍǬ ǰƴǥ] ǩƸǩ:

۞ بأهمية هذا الاستشهاد وبعظم شفقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على أمته وحرصه على تعليمهم ما ينفعهم، وقد استشهد هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قومه وهم مشركون حيث حيث قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود: ٥٤-٥٥]، فأشهد الله أولًا ثم أشهد قومه ثانيًا على براءته من الشرك، وكذلك هذه الأمة المهدية تُشهِدُ الله والملائكة وحملة العرش والناس أجمعين، فهذا كله عبارة عن توثيق وتأكيد لهذه الشهادة

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٨٧).

العظيمة، ومعلوم أنك لم تر الملائكة ولا حملة العرش ولا جميع الناس ولكن الله هو الذي سيتولى إبلاغهم عنك شهادتك له واستشهادُك لهم.

:[ấʒƘƲƜƙƚ ƬǾƮDž] ¬ƟƚƩ ǂ ƜƷƙƚ ȅƑ ƝǸƜDzƙƚ ǰǭ ǠƜǽ ǬƙƼ ƤǽƴƒƒƑ Ǽə :ƝƴƕƙƘə [ďĎ]

۞ **الأولى**: أن نهاية أمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هي بدايته لأنه بدأه الوحي عن طريق الرؤيا الصالحة، فلا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، والصالح من هذه الأمة يرى الرؤيا الصالحة وتلك منزلة يتمناها كل عبد ولهذا قلنا «نهاية أمته كانت بدايته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ».

۞ **الثانية**: المبشرات حلقة وصل بين الأولين والآخرين من أمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فكل من رأى صحابيًّا أو تابعيًّا دل ذلك على الأخوة الإيمانية بينه وبينهم على بعد المدة الزمنية بينهما.

۞ **الثالثة**: من المبشرات ما يكون فيه مزيد فهم في النصوص الشرعية من الآيات والاحاديث، وهذا كثير جدًّا في العلماء والصالحين [إذا يسر الله جمعت فيه مؤلفًا صالحًا إن شاء الله تعالى].

۞ **الرابعة**: قوله مبشرات يعني أن المحزنة ليست داخلة في هذا النوع من الرؤى لأن المبشرات من الله بواسطة الملك وأما ما يُحزن فهو من الشيطان.

۞ **الخامسة**: بناءًا على الفائدة السابقة نعلم أن النبوة ليس فيها ما يُحزن بل كلها خير لأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**».

۞ **السادسة**: الرؤيا الصالحة دليل على صلاح الرجل وسلامة معتقده بدلالتين من الحديث: أنها من النبوة وأنها يراها الرجل الصالح أو ترى له وما كان جزءًا من النبوة لايؤتاه من كان فاسد العقيدة. والله أعلم.

:رَحِمَهُمُٱللَّهُ ƊƘǾƜƊ äƚ ! ÊƱƑ ţƴā ǺǩƑ åƳƐǽ ŭƕƘ‖ ƎăƱ æ ƘDzǵ :ƬǾƮdžơ :ƝƴƕƘə [ďď]

۞ اشتهر بين الناس مقولة عن بعض الصالحين: «إذا خرج الكلام من القلب دخل القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان»، وهذا الكلام إن أُخِذَ بمجمله كان فيه

قدح للأنبياء والرسل فلا شك في صدقهم وإخلاصهم في تبليغ دين الله تعالى ووعظهم للناس وإرشادهم ومع ذلك جاء في قصة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [نوح:٧]، ولم يؤمن معه إلا قليل.

ولو كان الكلام يؤثر لمجرد إخلاص قائله لأسلم كلُّ مَنْ سمع كلام سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهنا ينبغي الالتفات إلى مهمة الأنبياء هداية البيان وأما هداية التوفيق فهي بيد الله تعالى وحده ولذا قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ [البقرة:٢٧٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: [ďĐ] Nyʃᵾkə: ηǭÊŪ ấϱƿ ηǭÊŪ ÅϱŪ ηϱDž ÆŪŀyǩŀ ƙ Ż ĠǩŇƨ3ƿ

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: انه لا يمكن أن يوجد داعية إلى الله أو عالم معلِّم لطلاب العلم يسب ويشتم العامة والخاصة وله صلة حقيقية بالله تعالى وبرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والدليل على نفي هذه الصلة أن الله تعالى وصف نفسه فيما لا يُحصى من آيات بانه رحيم ورحمان وكذلك وصفه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في عدد من الأحاديث، وكذا يقال في حق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أعني أنه موصوفًا بالرحمة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فكيف يكون الداعية الصادق على خلاف وصف الله تعالى ووصف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثم تكون له صلة حقيقية به، فمهما بلغ الداعية ثم وجدت منه أذىً للمسلمين فاعلم أن حظه من الدعوة لسانه، والله أعلم.

[ďđ] Nyʃᵾkə ǹƐƱϱ ƘĦϱŖǭ:

۞ اعلم أيدك الله بنوره أن من علامة صدق صلة الداعية بالله تعالى أنه يتورع عن الحكم على الأشخاص بالشقاء بناءًا على رؤيته لفسق صدر منهم أو بدعة عاشوا عليها

وإلا فقد النور الذي يعصمه من الكلام في أمور غيبية، وانظر ما قاله بعض الناس عندما مات الفنان (الحوت) فأين نور دعوتهم وعبادتهم وأين صدق صلتهم بالله تعالى. ثم انظر ما ظهر من أعماله الصالحة وصدقاته الكثيرة أعني الفنان محمد عبد العزيز.

:Ǻǩǩūơ Ż Ɨ Ǽə 2 ƘǲǩƗ Ɨ ƜƮơ :Ɲƴƒǩə [ďĒ]

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره- أنَ هناك نوع من التقوى قل من يلتفت إليه وهذا يتضح بمثال واقعي: رأيت إنسانًا يسأل الله ويلحُّ عليه أن يعطيه ما يقضي به دَيْنه أو يسدُّ به جوعه ولكن لم ير هذا الإنسان إجابةً لدعائه فبدأ يضعف إيمانه، فأخذت مبلغًا من المال وأعطيته حاجته وفوقها فإنك بهذا تكون قد ثبَّتَّ إيمانه وجعلته يحسن الظن بربه، وسوف يلهج لسانه بشكر الله تعالى والثناء عليه، وكم لصدقتك هذه من الآثار الإيجابية عليك وعليه، وهذا هو القرض الحسن المشار إليه في القرآن الكريم ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠].

ومن آثار هذا الأسلوب أنك جعلت هذا الإنسان يحب ربه حيث أجاب دعوته وفرَّج كربته وقضى دينه وستره بين عباده.

ومن الآثار أيضًا أن هذا العبد قبل إجابة دعوته كان لا يكاد يحسن الصلاة أو يخشع فيها، وربما ترك تلاوة القرآن وذكر الرحمن انشغالًا بهمومه التي كان يعانيها ولكن بعد ذلك انضبطت عنده هذه العبادات كلها ورجع إلى ما كان عليه من أداء الفرائض والنوافل والعبادات، فكم لك من الأجور بهذه الصدقة الطيبة والأسلوب الراقي في الدعوة إلى الله.

: Ż Ɨ ƟƗǸǪǅ ǴǾǪǕ Ż Ɨ ǧǸƨƷ ǺǪǕ ǬǾǪʂ ƣǩɁ ǫÊ ʂǩƗ Ǻǩƒ ǳƜƣǲ èƗ ƠǞǩ :Ɲƴƒǩə [ďē]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن الله طلب من أهل الايمان طلبين تجاه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدهما في سورة النساء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥]، فطالبهم هنا بالتسليم له.

والآخر: في سورة الأحزاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فطالبهم هنا بالتسليم عليه.

وقد يظن بعض المؤمنين ألا علاقة بين هذين الأمرين، لكن الواقع خلاف ذلك لأن روح سلامك عليه عندما تقول السلام عليك أيها النبي إنما هو تسليمك له فيما أمر وفيما نهى، فإذا كان للإنسان أوراد من الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ –وفي ضمنها السلام عليه– ثم يخالف أمره ويحيد عن شرعه، فهذا صلاته على رسول الله عليه وسلامه عليه أقرب إلى الرد، ولو وقف عند الحجرة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؟

فإن لسان حاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: مَن هذا المسلِّم علينا؟ هل سلَّم لنا في أوامرنا أم كان معاندًا لنا ثم جاء ليسلم علينا.

لهذا نقول: «كل مسلِّم له في أمره ونهيه مسلِّم عليه وليس كل مسلِّم عليه مسلِّم له»، فروح سلامك عليه هو تسليمك له وإلا كان سلامك ميتًا.

ولتتضح شناعة ما يقع فيه المخالفون له مع كثرة صلاتهم وسلامهم عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نضرب هذا المثال: لو أن لأب عددًا من الأولاد فكان أحدهم يسلِّم عليه كل صباح وإذا أمره بشيء أمتثل، وله ولد آخر يسلم عليه كل صباح ولكن إذا أمره بشيء عصاه وخالف أمره، وله ولد ثالث لا يأتي للسلام عليه وله عذر في عدم المجيء إليه ولكنه إذا أرسل إليه بأمر فإنه يطيعه ولا يتخلَّف عن طاعته أبدًا.

والشاهد من المثال الابن الأوسط الذي يكثر من السلام على والده ولكن يخالف أمره فيا ترى ما هو شعور والده عندما يأتي هذا الولد العاق للسلام عليه.

وأما الابن الثالث فوالده سوف يستقبله بالحب والترحاب لما يعلم من طاعته وعذره في عدم مجيئه إليه، وهكذا المقتدون برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعذورون في الوصول إلى الحجرة الشريفة للسلام عليه.

ولكن يجب أن نلتفت الانتباه إلى أمر هام حول هذه القضية ألا وهو أننا نقول في التشهد في كل صلاة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فهذا السلام عليه ينبغي أن يكون مذكرًا لكل مسلم للتسليم له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمره ونهيه وإلا كان هذا السلام في التشهد حجة علينا وليس لنا.

[ďĔ] ƝyƱƙə: ƭ ǧŇ ŋǭÊŪ ÆǩŇǩł ǰǭ ǰǾƛ ǰǾǮǫƽǮǩł:

۞ اعلم –أيدك الله بنوره –: ليس للولي ميزة يتميز بها عن بقية المسلمين بعلم أو دعوة أو عمل صالح أو شهرة أو نسبة إلى بيت من البيوت المشهورة بالدين والدعوة، بل ميزته التي بها تُعرف ولايته لله تعالى أن تنظر نظرة فاحصة إلى تعامله مع القرآن الكريم، وفي القرآن بيان لمن أحبهم الله ويواليهم فمثلًا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، فالولي لا بد أن يكون من المحسنين سواء كان المراد إحسان العبادة فلا يُخِل بشيء من آدابها أو الإحسان إلى الوالدين أو الإحسان إلى الجيران أو الحسان إلى الأرامل والأيتام.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فتجد الولي يسعى إلى طهارة قلبه من الحقد والحسد والعجب والكبر وسائر أمراض القلب، وتجده دومًا تائبًا مستغفرًا من ذنبه نادمًا عليه.

وهكذا يتتبع الولي القرآن الكريم فيعرف ما يحبه الله فيحرص على امتثاله، ويعرف ما يكرهه الله تعالى فيبتعد عنه ويجتنبه.

:ƘHʉƽDzΣ ǰǭ ǹƸƱǫ Ɲyʄʉƙə [Đċ]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره -إذا أردت أن تعرف ولاية الله لك ففتش في نفسك لأن الله تعالى إذا تولاك أحبَّك وحبَّب إليك ما يُحب من أعمال البر والخير: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

وإذا تولاك الله جعلك ترفع من يرفعهم من أهل الصلاح والتقوى وإن كانوا لا حس لهم في المجتمع ولا وزن، وتعز مَن يعزهم الله وإن كانوا من أذل الناس في أعين الناس ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾ [هود:٣١].

وعليه إذا رأيت من يدعي الولاية ولكنه يميل إلى أهل الفسوق ويقربهم لما لهم من الجاه الدنيوي فاعلم أنه إما مغرور وإما محروم -عياذًا بالله تعالى من الغرور والحرمان-.

:ƔĂƙƱ ǫǸHʉǞƷǩ TǾȚdžơ :ƘHʉƽDzΣ ǰǭ ǹƸƱǫ Ɲyʄʉƙə [ĐČ]

۞ من الناس من يظن أنَّ مِن شرط الولي أن تكون له كرامة أو لأحد آبائه وأجداده وهذا مفهوم خاطئ لم يُذكر هذا الشرط لا في كتاب ولا في سنة بل إن الله تعالى بيَّن من هو الولي بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا.

وكل من خالف هذا المفهوم الصريح والصحيح من كتاب الله تعالى في معرفة الولي فلا عبرة بقوله فهو إما جاهل وإما مكابر فأما الجاهل فيعلَّم وأما المكابر فيوعظ ويذكر، فإن كان مراده الحق رجع إلى الصواب وإلا كان صاحب هوى، وهذا لا علاج له إلا أن يشاء ربي شيئًا. والله أعلم.

عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: ǯƙǮǾǭƽ ƝǸǕYƥ ǺƽǸǭ ƝǸǕY ǰǾƛ ƞɯǾƪ Ǖ ƞɋ Ǧ ʯ [Đč]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أن الله ذكر دعوة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون وقومه إلى الله تعالى حيث خاطبهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قائلًا: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الدخان:١٩].

وذكر دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لبلقيس وقومها فخاطبهم قائلًا: ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣١].

فلماذا اختلف الخِطابان مع أنَّ كليهما يدعو إلى الله تعالى، فالجواب: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قال: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ لأنه دعا قومًا يعبدون بشرًا ادَّعى لنفسه الربوبية والألوهية فصدقوه، فلو قال لهم: ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ ﴾ لما اختلف الأمر عندهم وسيقولون له أنت بشر وفرعون بشر فلماذا نترك عبادة فرعون الذي ألفناه وعرفناه ونتحَّول إلى عبادتك أنت فكان لزامًا عليه أن يقول: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ولا يذكر نفسه البتة في دعوته.

وأما سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه دعا قومًا يعبدون الشمس وهي بعيدة عنهم وكانوا في ذلك تبعًا لامرأة قد ملكتهم فأراد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينزلهم إلى الأرض أولًا ثم يحولهم من تعظيم امرأة إلى تعظيم رجل هو جدير بالتعظيم لأنه رسول الله، ومن هنا تدرج في الدعوة بعد أن لفت نظرهم إلى مُلكه يدعوهم إلى ربه الذي أعطاه هذا الملك العظيم، وهم إنما أطاعوا ملكتهم لأنها ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ فإذا أرادوا مُلكًا أعظم من ملكها وعرشًا أعظم من عرشها وفوق هذا الملك رجلًا وليس امرأة كان ذلك ادعى إلى قبول دعوته فكان من أجمل الأساليب وافضلها في دعوتهم أن يقول لهم: ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾.

ونحن نستفيد من هذا كله في دعوتنا إلى الله ألا ننظر إلى حسن العبارة وحدها بل ننظر إلى المدعو فربما لا تناسب حاله ولو كانت حقًّا في نفسها.

ومن هؤلاء المرسلين عليهم صلوات الله وتسليماته يجب أن نفهم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وتأمل كم كان سيتأخر إسلام قوم سبأ لو قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ العبارة التي

قالها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكم سيكون من سؤ الظن بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قِبَل المؤمنين به قبل الكافرين لو قال كلمة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

:LJʒ ä ł Ǻǩƒ ǫYƌ NjĸƜǵƒ ǰǭ ηǮ Ğ Ʈǩł Æə ηƜǾ ɩ Ǖ ηq Ğ Ɲ [ĐĎ]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أنَّ هناك من يظن أن الله تعالى أهبط آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد الوقوع في المخالفة إلى الأرض عقوبة له على ما اجتناه، ولكن الأمر ليس كذلك بل أهبط إلى ألأرض لحِكم كثيرة، ولكن قبل بيان بعضها نقول إنما العقوبة تمت بحصول كشف العورة بدلالة قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٢]، فإلى هنا انتهى التأديب لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ذنبه.

وأما هبوطه إلى الأرض فكان للتشريف والتكريم ولهذا بدت منه حكم كثيرة جدًّا.

واليك بعضًا منها:

١- تم استخلافه في الأرض ليرشد الذرية إلى عبادة الله تعالى وكيفية إعمارها وتوارثهم ذلك جيلًا بعد جيل إلى قيام الساعة.

٢- بعث الله تعالى من ذريته الجم الغفير من الأنبياء والمرسلين.

٣- اتخذ الله تعالى من ذريته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ العدد الكبير من الأولياء والشهداء واختار العدد الكثير من الصالحين والعلماء العاملين والدعاة المخلصين، فيرجع آدم إلى الجنة بالجم الغفير من ذريته.

٤- أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يذيق آدم وذريته نصب الدنيا وتعبها ثم يعيدهم إلى الجنة ليعرفوا عظيم مقدارها.

٥- الله تعالى له الأسماء الحسنى ومنها الغفور والرحيم والحليم والصبور والخافض والرافع فأراد عَزَّوَجَلَّ أن تظهر آثار هذه الأسماء في حياة بني آدم، وهذا مما لا يحتاج إلى طويل شرح.

٦- ومن الحكم أن الله تعالى أراد أن يظهر للملائكة ما قاله في حق آدم وذريته: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فكان منهم -البشر- الأنبياء والرسل والمجاهدون في سبيل الله المدافعون عن دينه إلى غير ذلك من القيم وقد ذكر ابن القيم حكما كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتابه (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة في الجزء الأول).

[Đď] ηǬĀǩ Ū ɩ ηǗØ Æə ǺǅūǭɁ ηǽǶ ǥ ηǮǽƐ:

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره -أن الله تعالى قد أمرنا بالاستعانة بالصبر والصلاة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣]، ولكن لم يبين لنا هنا على أي شيء تكون تلك الاستعانة؟

والجواب إنه من المعلوم أن الله تعالى خلقنا لعبادته ومن أجلّ أنواع العبادة حب الله وخشيته ورجاؤه؛ ولكي تصل قلوبنا إلى هذه العبادات وما شاكلها أُمرنا بشيئين: إقامة الصلاة والصبر.

- **أما الصبر**: فتحتاجه لأن النفس إذا لم تُهيأ وتُوطَّن على الصبر لكي تصل إلى أهدافها فسوف تترك العمل والمواظبة عليه أو ربما أصابها الفتور والكسل.

- **وأما الصلاة**: فهي نِعم العون لأنَّ فيها المناجاة وبث الشكوى وفيها مغفرة الذنوب العوائق عن الوصول إلى المطلوب مما أشرنا إليه من أعمال القلوب من الحب والخوف والرجاء والإنابة وغيرها.

- ونحن استفدنا من هذا الكلام فائدتين عرفنا الهدف الذي يجب أن نتوجه إلى الله بطلبه وهو صلاح القلوب، وعرفنا الطريق الموصلة إلى ذلك الهدف ألا وهو الصبر وإقامة الصلاة.

- وربما يسأل سائل أُريد تطبيقًا عمليًّا لما ذكرته؛ فأقول ومن الله أرجو حسن القبول:

- أما بالنسبة للصلاة فهي للإعانة على إزاحة العوائق عن الطريق وهذا المعنى جاء واضحًا جليًّا في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فمن لم يُحسِن إقامة الصلاة لم يأمن من الوقوع في الفحشاء والمنكر، وهذا يتوقف سيره إلى الله تعالى؟

- واعلم أن الصلاة وردت في القرآن أكثر من مائة وعشرين مرة، وهذا يدل على ضرورة الاستمساك والإكثار منها في حياة السالكين إلى الله رب العالمين.

- وأما الصبر فقد جاء في اكثر من تسعين موضعًا مأمورًا به ومرغبًا فيه في مختلف الأعمال الصالحة وما دحًا أهله المستمسكين به على مختلف الأعصار، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الرعد ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢]، ففي هذه الآية جمع هؤلاء الصابرين بين العبادة البدنية ـ الصلاة ـ والعبادة المالية ـ الإنفاق، وحسن الخلق: دفع السيئة بالحسنة، ولهذا كانت عاقبتهم حسنة.

- ففي الجملة الوصول إلى الله تعالى وذلك بالتلذذ بطاعته وتلاوة كلامه مع صفاء القلب يحتاج إلى الاستعانة بكثرة الصلاة والصبر الجميل ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو ولي التوفيق [وسيأتي مزيد بيان لهذه المعاني في كتاب التفسير].

: ǣ ƘǽƑ Ż Ɨ Ɨ ƒ ǺǪǕ ƞƮǉƗƥ ƞǭÊǕ Ǽə ƝyƕƘə [ĐĐ]

۞ ربما يسأل العبد نفسه: أنا منذ سنين أحرص على أداء الفرائض والنوافل وعلى الاتباع لسيدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيا ترى هل بلغت منزلة المحبة التي وردت في

الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»، تلك مرحلة من القرب من الله ربما يصل العبد إليها لكن ما هي العلامة؟

الجواب: بالرجوع إلى القرآن الكريم نجد عدة علامات منها:

١- الرؤيا الصالحة: قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [يونس:٦٤]. أما البشرى في الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له، كما جاء ذلك عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجه الدلالة من الحديث: «يراها الرجل الصالح»، وكفى بـه شرفًا أن يصفه الحبيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه «صالح»، وقد تكلمنا على هذا الحديث في الفائدة رقم (٤٣).

٢- إحساس هذا العبد بالألم الشديد والحزن العميق عند وقوعه في الذنب: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة:١٨]، فهذا يدل على مَن احبه الله لا يمكن أن يعذب بذنبه، وعدم العذاب يعني أنه سيأتي يوم القيامة وليس له ذنوب؛ وهذا يعني أنه كلما اذنب تاب ليُمحى له ذنبه في الدنيا ولا محو للذنب إلا بالندم وهو المراد بقولنا الإحساس بالألم الشديد عند الوقوع في الذنب، وقد جاء ذلك في سورة التوبة صريحًا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾، ففي الآية وصف لدواخلهم وإحساسهم بعظيم ذنبهم وفي الحقيقة لا يُعطى هذا الإحساس إلا للمحب لله تعالى محبة صادقة.

وربما تجد في دنيا الناس من يتعامل من خطئه في حق من يحبهم ويجلهم بنحو هذا ومن المثل الأعلى.

في الآية: ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ إشارة إلى أن مَن أحبه الله يسارع بالاعتذار والتوبة ولا يتأخر من شدة حبه لله تعالى كما يفعل كل حبيب مع محبوبه والله أعلم.

[Đđ] Nyƕƙə Æə ǫŇĦĀ̄ǭ ƐƩkł ΣŇkη Æə ƐǮkƐȡʒ kł Ğ ƐǽǬ:

إنَّ من الناس من يرى الرجولة في الشجاعة المتهورة ومنهم من يراها في السخاء أو الجود الزائد عن حده، أو يرها في كثرة الزواج والطلاق، وللناس آراء أخرى في معنى الرجولة، ولكن لا شك أن المؤمن دائمًا يرجع إلى كتاب الله ليصحح مفاهيمه وأفكاره وبالرجوع إلى القرآن وجدنا قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور:٣٧]، في هذه الآية أربع خصال تدل على الرجولة:

١- عدم الانشغال بالتجارة عن ذكر الله تعالى وهذا يدل على أنهم تجار ولكن مع ذلك يسارعون في ذكر الله.

٢- عدم التفريط في إقامة الصلاة.

٣- الحرص على أداء الزكاة لمستحقيها.

٤- الخوف من أن يكونوا خاسرين في آخرتهم.

بهذا استحقوا أن يقال فيهم «رجال» والذي وصفهم بهذا الوصف عالمًا ربانيًّا ولا سلطانًا ذا واجهة إنما الله جَلَّ وَعَلَا.

ووجدت في القرآن أيضًا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، فوصف الرجولة هنا بالصدق في الوفاء بالعهد.

ووجدنا في القرآن أيضًا: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَـقُومَ فِـيهِ ۚ فِـيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّـرُوا۟﴾ [التوبة:١٠٨]، والطهارة هنا تشمل الطهارة من الحدث والطهارة بعد قضاء الحاجة وأعلى من ذلك طهارة القلوب من الأمراض القبيحة كالكبر والعجب والحسد ونحوها.

وتلك هي الرجولة في القرآن واعلم أنَّ كل آية من هذه الآيات بما حوته من صفات للرجولة يمكن أن يؤلف فيها مؤلف خاص والله المستعان.

:ǯǡƸǢǩƚ Ǽə ǰǾƮǫǳǮǩƥ ǰǾƮǨǳǩƚ ǰǾƛ ǋƴǚǨə [ĐĒ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن الله تعالى وصف الصالحين في كتابه بمجموعة من الصفات كما وصف المصلحين بصفات أُخر، ولكن لا يكون العبد مصلحًا حتى يكون صالحًا ومن هنا أحببتُ أن أشير بعض صفات الصنفين مما ورد في القرآن الكريم على سبيل الإيجاز:

فمن صفات الصالحين: قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]، ففي هذه الآيات عدد من الصفات التي بها يصل العبد درجة الصلاح ويدخل في جملة الصالحين:

١- تلاوة القرآن آناء الليل إشارة إلى قيام الليل: وقد جاء في الحديث: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم**»(١).

٢- الإيمان بالله واليوم الآخر: وقد تكرر في القرآن الجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر، ولعل السبب في ذلك ما يأتي:

أما الإيمان بالله فهو الدافع -إذا صدق صاحبهُ- للإيمان بالكتب والرسل والملائكة والإيمان بالقدر.

أما الإيمان باليوم الآخر فهو الدافع لصالح الأعمال والخوف من أن يأتي آكلًا لحقوق الناس أو ظالمًا لأحد فيضيع ثوابه.

٣- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: فهذا دليل على قوة الإيمان بالله واليوم الآخر، إذ يسعون في إنجاء الخلق من الذنوب والمعاصي.

---

(١) سنن الترمذي. وحسنه العراقي في تخريج الإحياء.

ومن صفات المصلحين: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠]، وهؤلاء مستمسكون الكتاب في أنفسهم ويسعون إلى تمسيك غيرهم بالكتاب، فصلاحهم وصل أثره إلى غيرهم، ولهذا لا يكون مُمسَّكًا إلا إذا كان مستمسكًا بما سبق ذكره من صفات الصالحين وإنْ شئت فقل لا يكون مصلحًا حتى يكون صالحًا والله أعلم.

:ƸШÆĔkł ƙłzŪ̄ ǰǭ̄ Æ̋ ʅǱǮkł ʒƘǮǽ âł ǓǸǄ ğǸ ƒ ʃNyƕƘə [Đē]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: إذا كنت صاحب إيمان ضعيف و من شدة ضعفه لا يحجزك عن الوقوع في المعاصي وارتكاب المخالفات أفتظن أن هذا الإيمان سيمنعك من عذاب القبر أو يكون سببًا في راحتك في الآخرة، فما كان ضعيف هنا فهو ضعيف هناك.

: ƻ ƘǲǮł ǰǭ̄ Ǥ ɰƮ̂ǽ ǰǭƇɳ ǿŪ̄ǸǄ Ǻƙ̌Ƒ ǳƘɯƣǲł Ơǟ̌ƙ [ĐĔ]

۞ ليس الشأن أن يكثر أحبابك ولكن الشأن أن يكون أحبابك من الصالحين، والدليل على ذلك من ناحيتين:

الأولى: الواقع: انظر كم عدد أحباب الفنانين والممثلين وكم عدد المعجبين بهم فما قيمة هذه الأعداد الكبيرة إذا كان أكثرهم من تاركي الصلاة وشاربي الخمر ولا علاقة لهم بالدين، فهل هؤلاء ينفع حبهم لهذا الفنان أو تلك الفنانة عند الله بل هو زيادة في ذنوبهم وسيئاتهم.

الثانية: الشرع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم:٩٦]، فلا بد أن يكون محبو هؤلاء منهم فيما تميزوا به فيؤمنون بالله ويعملون الصالحات وأما الفاجر فإنه لن يحب أهل الإيمان بل يضيق ذرعًا ولا يطيق رؤيتهم.

ودليل آخر حديث جبريل المشهور: «**يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبَّه، فيحُّبه جبريل ثم ينادى في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض**» [صحيح مسلم]. فهذه محبة نازلة من السماء إلى هذا المحبوب من قِبل الخلق.

ولعل في هذا الحديث لفتة هامة ألا وهي ما دام الله قد أحب هذا العبد أولًا ثم أمر الملائكة بحبه ثم أنزل محبته في قلوب الصالحين من عباده في هذا كله شبه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]. لأن الله صلى على نبيه ثم أمر الملائكة بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين وكذلك فعل بمن يُحب أحبه ثم حبب إليه الملائكة ثم حبَّبه إلى المؤمنين.

:ĸĦűŀæzĦơƿ 5 ĀĎżǩł ŋǾ ƍ ƺơ ÁǫŪ ǬǫűǩƗ ǫỷĒǬǩ ƔǾśǩƗ Ƹƥàł ƝƴƜǩə [đċ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّه: ما لم تسبق التزكية العلم؛ كان العلم سببًا في فساد خلق صاحبه واستعلائه على الخلق وحبه للرئاسة والتقدُّم على الناس ولا يرضى أن يتواضع لخلق الله تعالى، وقد رأينا وسمعنا عن علماء بلغوا مراتب عالية من العلم الشرعي والأكاديمي ورأينا كيف يتعاملون باستعلاء على مَن هم أكبر منهم سنًّا من المؤمنين وكأنهم لم يسمعوا قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»(١)، فيرُيد الواحد من هؤلاء أن يكون هو الموقر والمعظَّم دون غيره.

وكم رأينا مِن الدعاة سَاء مَنْ خُلُقه مع أهل بيته فضلًا عن غيرهم وكم رأينا من طلاب العلم مَن أساء الأدب مع العلماء الذين قضوا عمرهم في العلم والدعوة إلى الله، فيأتي هذا الطالب الذي لم يبلغ الثلاثين من عمره فيسيء الأدب مع عالم قضى أكثر من أربعين سنة في العلم والدعوة وغير هذا وما شابهه كثير.

---

(١) حسنه السيوطي في الجامع الصغير.

والسر في هذا هو أنَّ المسيء تعلَّم قبل أن يزكي نفسه، بمعنى أنه لم يخرج من قلبه الأمراض الخبيثة من الحسد والحقد والكبر والرياء والعجب، غفل عن إصلاح باطنه وانشغل بإصلاح ظاهره بل ربما غفل عن إصلاح ظاهره أيضًا وانشغل بإصلاح الأمة محسنًا الظن في نفسه مسيئًا الظن في الآخرين.

وسبب هذا كله ما قدمنا من البدء بالعلم قبل التزكية وفي هذا مخالفة للقرآن الكريم حين بيَّن مهمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمة حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران:١٦٤].

ولهذا قال شيوخ التربية: التخلية قبل التحلية، ومقصودهم تهذيب النفس من مساوي الأخلاق وتحليتها بمكارمها وهو عين ما ترمي إليه الآية الكريمة: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ**﴾.

ومن هنا نوصي طلاب العلم بأن يعطوا جانب التزكية العناية الكافية والبحث عمن يرشدهم من المشايخ إلى كيفية إخراج تلك الأمراض القلبية التي ستؤدي إلى هلاك صاحبها إن لم يتخلص منها قبل الموت والله المستعان.

[đČ] ãƸə ĀǾāƳ ǰǾƛ ŧƥƴǧƘƩ ƘƉǾə ŧƥƴǧƘƩƥ Ǣə ŘǾШƨ ł Ż :

۞ اعلم أيدنا وإياك بنوره أن الله تعالى أخبر عن فئتين مجاهدتين:

الفئة الأولى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩]، جاهدوا في سبيل التعرف إلى الله تعالى والوصول إليه؛ وكذلك لتعريف الخلق به، ولهذا قال بعدها: ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ الموصلة إلى ذلك.

الفئة الأخرى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة:٢١٨]، وهؤلاء جاهدوا في سبيل الدفاع عن دين الله أو دفع

الأعداء الذين يصدون الناس ويمنعونهم عن الدخول في دين الإسلام ولهذا قال بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فانظر كيف ختم لكل فئة بما يناسبها لأن الفئة الأولى كان همها معرفة الله والوصول إلى قربه ولهذا قال: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي الطرق الموصلة إلى معرفتنا والتعريف بنا ثم وصفهم بأنهم هم المحسنون الذين وصلوا إلى محبته.

وأما الفئة الثانية فكان عملها للدين ولهذا ختم لهم بالرحمة والمغفرة ولا شك أن هناك فرق كبير بين من يعمل لدينه وإدخال الناس فيه، وبين من يعمل للوصول إلى الله وتعريف الناس به سبحانه.

ولعله من هنا كان العلماء بالله أعلى منزلة من الشهداء في سبيل الله، وأنا أقول العلماء بالله لا بدينه، لأن العالم بدين الله قد لا يُوفق للعمل به وأما العالم بالله فلا بد أن يعمل بدين الله، ومعلوم أن المقصود من العلم العمل ولهذا قيل: «العلم نادى بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»، والله أعلم.

:ηǮǽƐ ǥ ηǽƌ Ǣǝ ηǜǾ Ǐ Ǖ Ǵǻ Ǧ Ǆ [đč]

۞ قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨]، هذا الكلام جاء في سياق أمر الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول عن نفسه كذا وكذا ومنها: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ ونحن نقول: وأيُّ خير أفضل من ذكر الله تعالى ولقد استكثر منه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في الحديث الصحيح قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر في كل أحيانه»، فإن يكن هناك خير من الذكر فيا ترى ما هو؟؟.

۞ وهناك فائدة أخرى وهي أنَّ مَن كان مِن أهل الخير فإنه لا يمسه السوء وإن مسَّه رُفِعَ عنه سريعًا، والمراد بالخير هنا أيضًا الذكر كما جاء في حق الصحابة حين قالوا:

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قال الله بعدها: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران:١٧٤].

:ǳyǾ ƒ Ǹơƿ Ż ł ηəƐűǭ Ǭǫűǭǳ ǰǽ ǰǭ :ǳƘǭǳ ëł ƠǞǩ [đĎ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن أفضل علم تشتغل به وتسعى في تحصيله هو معرفة الله تعالى وتوحيده وإجلاله، واعلم أن العلماء قد ألفوا في ذلك الكتب الكثيرة ولكنها قد مُلئت - تلك المؤلفات - بما يسمى علم الكلام ولربما تقرأ عددا من الصفحات المتتالية لا تفهم منها إلا القليل بل ربما تقرأ صفحات كثيرة لا تكاد تجد فيها آية قرآنية أو حديثًا نبويًّا.

وبناءًا عليه أحببت أن ألفت الانتباه إلى أنَّ أفضل مصدر يمكننا أن نأخذ منه توحيد الله والتعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العلى هو القرآن الكريم، فالله هو الذي تحدث عن نفسه وعرَّفنا بنفسه من خلال كلامه، فأين كلامه عن نفسه مِن كلام البشر عن أسمائه وصفاته.

وإليك بعض الأمثلة:

المجموعة الأولى: آيات قرآنية تحدث الله فيها عن دلائل قدرته وحسن تدبيره للكون:

١- ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝٢٢ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم:١٨-٢٧].

٢- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

٣- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان:٢٩-٣٢].

وغيرها كثير جدًا، ولكن هذا من باب التنبيه إلى مثيلاتها في القرآن الكريم، ثم يا ترى كم يحتاج المتدبر من الوقت ليفهم هذه الآيات ويتأثر بها.

المجموعة الثانية: آيات تتحدث عن صفات الله تعالى:

١- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [سورة الإخلاص].

٣- ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢١-٢٤]، وغيرها كثير، وهذه الآيات وأمثالها تعطي معرفة بالله تعالى وتعطي إيمانًا ويقينًا لا تجده في قراءة أي كتاب مما ألَّفه المؤلفون مهما علا قدرهم وارتفع شأنهم؛ ولكننا في حاجة إلى قلوب تحب القرآن وتنتفع به؛ كما أننا في حاجة إلى قلوب تتعلق بالله تعالى وتنشغل بذكره سبحانه وحسن عبادته.

المجموعة الثالثة: آيات تلفت انتباه الإنسان إلى التفكر في خلقه وتفضيله ليعرف قدر نعمة الله عليه فيتوجه إليه سبحانه بالحب والإجلال والشكر:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار:٦-٩].

٢- ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق:٥-٩].

٣- ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٦٦ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ۝٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم

بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٦٦-٧٠]، وهذه الآيات وما شابهها تعطي الإنسان ذوقًا في معرفة مقدار ما أنعم الله عليه وهذا مما يؤدي إلى حسن طاعته وعبادته بنوع من الرغبة والحب والإقبال عليها دون شعور بأدنى كلفة أو مشقة تذكر.

ولهذا أقول في الجملة إن التوحيد في القرآن له ذوق خاص تمامًا عما عهده الناس في الكتب المؤلفة في هذا العلم.

[đď] Nyƙǝ Ǖ ǉ ηǕǾ ǭ ǰ ηǽǻ ģ ηǮǽƐ:

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أن: المراد بالمغفرة في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ أن المغفرة بمعنى الستر والتغطية فالله تعالى أراد من المتصدق ألا يكسر قلب المسكين بإظهار صدقته بل طلب منه أن يعطيه الصدقة دون أن يُشعره بأنها صدقة، ومن الطرق الموصلة إلى هذه الغاية – مثلًا – أن تقوم بزيارة المحتاج وتطلب منه إكرامك بما تيسر عنده من طعام أو شراب ثم تجعل صدقة في صورة هدية مكافأة له على إحسانه، وحبذا لو مدحت ما جاءك به من ضيافة وأن تظهر سرورك بذلك وحينها يشعر أنه هو المحسن إليك وسيأخذ صدقتك دون الشعور بالتفضل عليه أو المَنَّ بالصدقة.

[đĐ] Nyƙǝ: ƙȿƐ Ǽǝ Ǖǆ ù ǚǖLj ƙyǕƙ:

۞ مع علم بعض الدعاة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وعلمه بما شابهها من آيات ومع علمه بأن النبي ﷺ قد أَمَرَ بالرفق إلا أنه يصر على تقديم العنف على الرفق والقسوة على الرحمة في دعوته إلى الله، ولعل السر في ذلك هو وقوعه في خطإٍ ما إما في فهمه وإما في سلوكه:

أما الخطأ في فهمه هو أنه يظن أن ما يقوم به من عمل صالح إنما يقوم به من تلقاء نفسه وينسى فضل الله عليه وينسى أنَّ الله لوشاء لجعله كسائر العصاة الذين يعنفهم ويقسو عليهم، هذا إذا تحققنا من حسن سيره مع الله تعالى، والدليل على الخطأ المشار إليه هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [النساء:٩٤]. فلو وقف الداعية إلى الله مستحضرًا معاني هاتين الآيتين لفاض شفقة ورحمة بالعُصاة؛ ولكن غفل عن ذلك فكانت القَسْوة الشديدة والعنف في غير محله.

وأما الخطأ في سلوكه: فهُو أنه في الغالب يخالف عملُه قولَه فلا ينتهي عما ينهى الناس ولا يأتمر بما يأمر الناس به فينعكس شعوره بالعجز عن إصلاح نفسه بعجزه عن إصلاح الآخرين ومِن ثم يُعنِّف على الناس في سلوكه ويقسو عليهم في تعامله؛ وربما يكون ظاهره الصلاح ولكن عنده من ذنوب الخفاء ما الله به عليم؛ نسأل الله الستر في الدنيا والآخرة.

[đđ] ƘəNy∕ƖuƘō Ǹɠ ƗƜʂǩƗ Ǽə ơ Ǧ ǾǪ ǜ ƗƜǩƗ ǂ Ƹ:

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ: الله تعالى خَلَق الخَلْقَ على أقسام:

١- قسم منهم بث فيه الحياة ولم يجعل له اختيار في حركته في الكون بل جعل طبيعتهم لا تلائمها إلا طاعته وعدم مخالفته وهم الملائكة ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

٢- وقسم منهم بث فيهم الحياة وجعل اشتغالهم بشهواتهم وهذه الحياة العاجلة وسلب منهم العقل إلا بالقدر الذي يعرفون به كيف يعيشون ويدفعون عن أنفسهم وتلك هي الحيوانات فليس لهم طاعة ولا معصية؛ فهم غير مكلفين بل مسخرون للإنسان.

٣- وقسم جعلهم قابلين للطاعة وللمعصية وأعطاهم المشيئة وهم بنو آدم ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]، فلما أعطاهم مشيئة كلفهم لينظر كيف يعملون؛ ومع ذلك أعطاهم أدوات الطاعة وأدوات المعصية تمامًا كطلاب كلية الزراعة بعد التخرج: كلهم قد درسوا الزراعة نظريًا ثم أُعطوا أرضًا صالحة للزراعة وأُعطوا جميع متطلبات نجاح الزراعة وقيل لهم دونكم الزرع وأمهلوا إلى موسم الحصاد وقيل لهم من نجحت زراعته أعطيناه الأرض والمحصول الذي يحصده منها، فكانوا على قسمين:

بعضهم رمى البذر وحرث الأرض واجتهد في إنجاح زرعه حتى إذا جاء موسم الحصاد كانت زراعته ناجحة ومحصوله جيد فاستحق الأرض ومحصولها.

وبعضهم أهمل العمل ولم ينهض لزراعة أرضه وجعل يقول الموسوم طويل وسوف أدرك موسم الحصاد ولو بالقليل من المحصول وتفاجأ بفوات الوقت ولم يحصد شيئًا.

ولعلي لست في حاجة إلى بيان أن البشر لا يخرجون عن هذين المثالين ولا يدركون ذلك إلا ساعة الاحتضار ومن هنا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة؛ والله أعلم.

:DÊQ̄λ ëɫ ɫɯ5 KHDZfə :ǹǸŨ̈yǩɫ ʒz ƭɫ [đĒ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أنَّ العبد إذا قال: يا رب إني أحبُّك فليستعد للبلاء، لماذا؟

لأنه ادعى شيئًا يحتاج إلى دليل ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران:٣١]، فكان سبب البلاء: الدعوى؟ وهؤلاء دومًا في مجاهدة النفس في اتباعهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذا هم في مقام الصبر حتى يُفتح عليهم.

وهناك قوم قال الله لهم: «إني أحبكم» وهؤلاء هم أهل الراحة في الدنيا والآخرة؛ لأنَّ الله لا يمكن أن يعذب مَنْ يحب ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]، وعدم ابتلائهم لأن الله نعم المولى ونعم النصير.

وهؤلاء حتى وإن بدوا في ظاهر الأمر أنهم يقومون بما يقوم به الأولون إلا أن بواطنهم في نعيم تام وسعادة غامرة لأنهم يشهدون أنَّ أعمالهم هي محض فضل وعطاء من الله فهم في مقام الشكر وليسوا في مقام الصبر اللهم اجعلنا منهم آمين.

:ŋǭƙơ ŋ ŏŨ̀Ǹǭƥ ŋǭƙǵ Ɲyƕƙə [đē]

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره-: أنَّ الله أخبرنا بأنه زيَّن الدنيا لجميع الناس فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤]، ونحو ذلك من الآيات.

والمؤمنون داخلون في هذا التزيين بلا شك لقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ ولا يخرجون من العواقب الوخيمة لهذا التزيين إلا بأنْ يزيّن الله الإيمان في قلوبهم، لأنَّ زِينة الإيمان هي التي تكشف لهم حقيقة زينة الدنيا وما يتبعها من شهوات المال والنساء والأولاد فيتعاملون معها حينذاك وفق ما تمليه عليهم زينة الإيمان ولذلك ربنا قال: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ فهم يحبون الإيمان، ومن أحبَّ شيئًا قدمه على غيره ثم قال: ﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ فزينته لزيادة حبه، وهم يحبونه ولو كان بغير زينة فكيف إذا زُين لهم؟.

فهل بعد ذلك يمكن لزينة فانية أن تقف في وجه شيء زيَّنه الله أو تغلبه، ومن هنا كان أهل الإيمان الحق هم الذين يتغلبون على فتنة الدنيا وبهرجها والفائدة من هذا كله أن تلتفت أخي المؤمن إلى ما أعطيت من زينة الإيمان ومحبة الرحمن والله يتولى هداك.

:ǰǾ ƭ YƘǮǩƚ ţ yǭ āǸə صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ÆƜDžƚ :Ɲyƕƙə [đĚ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أنَّ من الجهل بقدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوم شاعر بنظم قصيدة يمدح فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكون المعاني التي تدور حولها القصيدة أنه: كريم

وشجاع وصبور. الخ وإنما قلنا هذا من الجهل بقدره صلى الله عليه وسلم لأنه لولاه صلى الله عليه وسلم لما كانت تلك الصفات ولما وجدت مكارم الأخلاق أصلًا، ولهذا قال أحد العلماء:

أرى كلَّ مدح في النبي مقصِّرا … مهما بالغ المثني عليه وأكثرا

إذ الله أثنى في كتابه عليه … فماذا تمدح الورى

ثم أقول لك هات كل قصيدة فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم مهما بلغت من البلاغة والفصاحة ثم ضع أمامها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٧-١٨]، ألا ترى معي ضعف قصائد الشعراء أمام هذه الآيات.

ولعل أحد الشعراء المادحين فتح الله بصيرته لهذا المعنى فقال:

ولئن مدحت محمدًا بقصائدي … فلقد مدحت قصائدي بمحمدِ

Æə Ấǩǩūơ Żł Ấǩƒ Ǵƛ Ǩ5ǸƢǩł صلى الله عليه وسلم *ÆǗǅǩł ŭǭ ƙYàł ǰǭ 5Ǿǩ : łǽYǝơ [Ēċ]*

:ƨŀłǸƮǩł ǄǨǊā

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أننا إذا نظرنا إلى حال الذين يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم وتأملنا في عباراتهم لعلمنا يقينًا أن هذا العمل ليس فيه أدب معه صلى الله عليه وسلم، وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: لسان حالهم يقول نحن في حاجة ماسة إلى تفريج الكرب وإزالة الهمَّ ولكننا لسنا أهلًا لأن نسأل الله مباشرة فلنبحث عن وسيلة كي تجعل الله يستجب لنا، فيتوسلون إليه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم هو حبيبك الأكرم وصفيك الأعظم فلا بد تقضي لنا حوائجنا لأننا توسنا به إليك.

الوجه الثاني: إن الله تعالى قد أمر عباده بالدعاء فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]، وهذا فيه بيان جلي بأنه قادر على كل شيء وهو المدبر لأمور عباده، فعندما يأتي إنسان فيتوسل بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه فإنه يكون قد أساء إلى مقام عبوديته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه لأنه هو نفسه ممن يدعون الله تعالى متعبدًا له بامتثال أمره في الآية الكريمة وما شابهها من الآيات.

الوجه الثالث: بناءًا على الوجه السابق جاء حديث صحيح يقول فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا**»، فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ذلك لأحب الناس إليه وهي بضعة منه فما بالك بمَن دونها من الناس، وإنما قال ذلك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبيِّن أنه عبد الله تعالى، كيف لا وقد شرفه الله وكرَّمه بهذا الوصف في عدد من الآيات ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء:١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف:١]، وغيرها من الآيات.

ü ǽƐ ‖ Ǽƽƴā Ƥǽƴƒ Ǽə ŋǯǽƐ ǥ ŋǬǞǩ [ĒČ] :

۞ في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخبرًا عن ربه سبحانه في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ**» صححه ابن عبد البر في التمهيد. بشارة عاجلة في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة، وهي: المفهوم العام لهذا النص الكريم أن تبحث عن أحدٍ لتحبه في الله لتنال محبة الله، ولكن ليس الأمر كذلك بل انظر في قلبك فإن وجدت فيه محبةً لأحد في الله فتلك علامة على أنَّ الله قد أحبك.

والفائدة من هذا الكلام إنك لو جعلت محبتك في الله وسيلة لتصل بها إلى محبة الله جعلت نفسك الأول والله الآخر، ولكن الأولى أن تقول: لولا أن تلك المحبة في الله وجبت عند الله أولًا لما أحببت في الله آخرًا، وبهذا تكون قد جعلت الله هو الأول والآخر فهو الموجد لمحبته لك في قلبك والموجد لمحبتك لأحبابه أيضًا.

ηλʹƬdžǩłþ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ÆɯƊžǩł ǰ Øλ Ǭ ƒ łƸƣǩł Æə ù DžŇǩłþ Ǩűλ̈ǩł ǰ Øλ ā Ƹ ə [Ēč]
:ǫłƸ Ğ ǩł

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره أن: هناك معنى هامًا يغيب عن الأذهان في وصف الله تعالى للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وموضع الشاهد ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ فجاء ذلك بالوصف لا بالفعل أعني أنه لم يقل يتراحمون بينهم؛ لأنه لو قال ذلك لكان من الممكن أن يتراحموا اليوم ثم تنقلب أحوالهم غدًا لأن من شأن الفعل عند العرب التجدد والحدوث، ومن شأن الاسم الثبات ولهذا قال: ﴿رُحَمَآءُ﴾ وهي جمع راحم مثل عالِم فهي وصف ثابت لهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ولعل من آثار التراحم بين المسلمين هو أن تحاول الشعور بما يشعر به أخوك المسلم فإنك إن شعرت بما هو فيه فإنك لن تدعه يقاسي الألم وحده بل ستقف بجانبه وتصدق في ذلك.

وأختم الكلام على هذه الصفة من صفات الصحابة بمعنى جليل فتح الله به عليَّ ألا وهو أنَّ الله قد جعل الصحابة شركاء مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الصفة وهذا واضح من السياق الكريم للآية ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وهذا يعني أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعامل معهم بالرحمة وكذلك هم يتعاملون معه بالرحمة كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١]، تلك رحمته الخاصة بالمؤمنين، والمقصود أن الصحابة فيهم حظ من الرحمة التي أعطيت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله أعلم.

:ηǮűƊžǩł ηǮűƊ ρ̧ ηØĀØĀƬǩł ηǮűƊžǩł :džƘɯƣƊł ƠĀǩ [ĒĎ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن هناك نعمة وهناك حقيقة النعمة وإن شئت فقل: «نعمة النعمة».

۞ أما النعمة فهي كل ما فيه جلب لمصلحة العبد أو درء لمفسدة عنه وهذه يشعرها كل إنسان فمثلًا: الاستمتاع بالطعام والشراب والزواج والأموال وما أشبه ذلك هذه كلها تدخل في دائرة النعمة الدنيوية؛ وهناك النعمة الدينية من ذكر الله والصلاة والصيام فالأولى يشعر بها المؤمنون والكافر على حد سواء وأما الثانية فلا يشعر بها إلا المؤمنون.

۞ ولكن النعمة الحقيقية هي شعورك بأن كل ما عندك من النعم هو عطا من الله تعالى فتشهد النعمة وتشهد عطاء الله لك فيها، وأما الدرجة العلياء فهي شعورك أن الله هو المعطي خصك بعطائه وتفضلَ عليك بنعمائه، كمن أعطاه الأمير أو الرئيس شيئًا من المال فهو لا يفرح بالمال بقدر فرحه بكونه من الأمير أو الرئيس، إذ فرحه بذلك من وجهين: أنه أصبح معروفًا لدى الرئيس والثانية أنه استحق هذا المال.

والدليل على أن هذا مطلوبًا بل أسمى المطالب انشغالك بـأن الله خصك بالنعمة قولـه تعـالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف:٤٤]، وقوله: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:٧٢-٧٣].

:ηǭĶÆǬƽ èƚ yǖƛ uØ‖ ÁǩǷ η ΣĶƮǩƚ :ƩƱƋ ǳĶɯǬǷƚ ƠĀǩ [Ēď]

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره-: أنّ المسلم الملتزم بدينه المستقيم على طاعة ربه بعد استقامته يحتاج إلى شيخ يربيه ويوجهه ويرشده بل قد تكون حاجته إلى الشيخ أكثر من حاجة الفاسق الذي كان بعيدًا عن الله، وتوضيح ذلك أنَّ يقال: الاستمرار على الطاعة سنين متواصلة توّلد لدى هذا الصالح أمراضًا متنوعة لا ينتبه لها:

ومن ذلك: رؤية نفسه عند قيامه بالعمل الصالح فيرى نفسه طائعًا وينسى فضل الله عليه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور:٢١]، ومن أخطر

الأمراض الافتراء على الناس بسبب استقامته وطلب المنزلة عندهم والتصدر في المجالس ونحو ذلك.

ومن ذلك: ربما داخله العجب أو الكبر عند رؤية مَن هو دونه في العمل أو عند رؤية أهل الفسق من المسلمين.

ومن ذلك: انشغاله بالعلم والمعرفة بالله تعالى عن ثمارها فلا يزال مشغولًا بالمزيد فيها دون أن يلتفت إلى أثر المعرفة فيه كحصول الخشية والإنابة والتواضع ونحو ذلك.

ومن ذلك: أنه إذا رأى مَن هو أصغر منه سنًّا وقد أُعطي أفضل منه من الباب الذي سلكه إلى الله تعالى ربما أساء الظن بربه أو استحقر عطاء الله له؛ وتلك لعمري مصيبة المصائب

كل ذلك وَغيره كثيرَ يجعل المستقيم في حاجة إلى شيخ يوجهه ويرشده ولعل هذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١].

فهناك صراطان: الصراط المستقيم وهو صراط الطاعة والاستقامة.

وصراط الله: هو السير إلى الله بالقلب فهذا ما يفقده المشغولون بالطاعة الظاهرة عن الطاعة القلبية الباطنة من معرفة الله وحبه وخوفه ورجائه الخ.

:ηØdžūǮkł Ǽə ŬǸāŇkł Ǽə ηⅢØ ῒ Ǖ Ɲ ƴƕķə [ĒĐ]

۞ من فوائد الوقوع في المعصية ما قاله ابن عطاء: «رب معصية أورثت ذلًا وانكسارًا خير من حسنة أورثت عزًّا واستكبارًا»، وهل تعلم ما هو الذل والانكسار: هو أنْ ترى نفسك أحقر عبد يمشي على ظهر الأرض، وكلما ذكرت تلك السيئة ارتجف فؤادك خوفًا من الله تعالى.

ومن فوائد المعصية معرفة قدر نعمة الله عليك بالطاعة حينما كنت طائعًا فلو شاء لجعلك عاصيًا طوال عمرك، ولكنه حفظك من المعاصي في أكثره وجعلك تعصى في القليل منه.

ومن فوائد المعصية: حصول التوبة وطلب المغفرة فتتوسل إلى الله ببعض أسمائه الحسنى كالتواب والغفور والغفار والرحيم وبهذا يتذوق التائب طعمًا لهذه الأسماء ويجد لها ذوقًا لا يشعر به الطائع الذي لم يقع في الذنب؛ فتكون المعصية أو خلقه في باب من أبواب معرفة الله من خلال بعض أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

[Ēđ] ā£ə ĵØƛ ʒƘƷǽâƗ Żƙƛ ǬǫūǩɈþ Żƙƛ :

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن الإيمان عبارة عن التصديق بالغيب وما دام تصديق فهذا يعني أنه نتيجة لخبر ولما كان المخبِر صادقًا صدقًا لا يحتمل الكذب وهو الله عَزَّوَجَلَّ، ونحن بصدد بيان الفرق بين من يؤمن بالله غيبًا وبين من يعلم بالله وبأسمائه وصفاته وها هنا مثل توضيحي للفرق بينهما: إذا قلنا لإنسان عندنا فاكهة من صفتها كذا وكذا فأعجبته وصدق ما أخبرناه به، وقلنا له لكن لتناولها لا بد أن تقوم بعمل شيءٍ ما، فقال: لا استطيع أنْ أعمل لكم شيئًا، فإنه بذلك يبرهن على ضعف تصديقه كلامنا ولم يصل إلى درجة اليقين، لكن لو قلنا له تذوّق هذه الفاكهة فذأفها فأعجبته؛ فلا أظن أنه سيتخلف عن تنفيذ أمرنا، بعد ذلك تعالوْا بنا لندخل على القرآن على ضوء هذا المثال:

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩]، فهذا تذوَّق عين ما أنكره ولهذا جاء

في ختامها ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وتأمل قال ﴿أَعۡلَمُ﴾ ولم يقل: «أومن» لأنّ تصديقـه بالبعث ترقى عنده من «آمن» إلى ﴿أَعۡلَمُ﴾.

ولهذا كان الترقي من «أومن» غيبًا إلى «أعلم يقينًا» يحتاج إلى علم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته؛ وبهذا كانت درجة العلماء أعلى من درجة المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة:١١]، وأيضًا كان الثناء على أهل العلم من هذا الباب واسمع قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [آل عمران:١٨].

ولهذا كان على المؤمن أن يسعى سعيًا حثيثًا ليترقى في إيمانه دومًا وأبدًا وقد أشار الله إلى ذلك في آيـات؛ منها قولـه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢]، فانظر قوله: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ وفي هذا إشارة إلى أنهم مؤمنين غيبًا بأن الله على كل شيء قدير وأنه علمه محيط بكل شيء ولكن لا بد من الوصول إلى العلم بذلك.

وبناءًا على ما سبق تأمل عددًا من آيات القرآن التي تتناول قضايا العلم والإيمان وإنما أردت أن أفتح الباب وأنبه أولى الألباب؛ والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

:ǴơƐƱȡ Æə Ǔyʠɯ Ʒƙƚ ƿǫ ÆDžƘūƙƚ ÅǪŪ Ǭ Ǧ Ʈƙƚ ǰǭ Ʒƶ ƭ Ƚ [ĒĒ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: أن من الخطإ الفاحش الذي يقع فيه بعض الوعاظ والدعاة في هذا الزمان الحكم بالنار على بعض من اشتهر بالفن أو الغناء أو الظلم من الحكام وغيرهم وينسى مثل هؤلاء أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**الأعمال بالخواتيم**»(١).

وقال أيضًا: «إن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل الجنة فيدخلها»(٢)، فلا تدري أيها الداعية المتسرع لعل

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) مسند أحمد بإسناد صحيح.

من حكمتَ عليه بدخول النار مِن هؤلاء أعني أن يرزقهم الله التوبة في آخر حياتهم فيموتوا على عمل صالح.

وهناك ناحية أخرى هامة إلا وهي ربما تكون قد اطلعت على سيئات هذا الشخص ولكن لم تطلع على حسناته فلعل له كفالة أيتام أو صلة أرحام أو شفقة على فقراء ومساكين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، وفي الحديث الصحيح: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» [حسنه الألباني في صحيح الجامع].

:ƗƔ‖ ǴǅǭǬ ǾǽǫƷ ƗƵƑ ƬǨǨǆžǨƗ ǺǫǕ Ǭ Ǧ Ǯǩƚ ǰǭ Ʒƶ ƒƗ [ĒĔ]

۞ ربما يسارع البعض في اتهام الدعاة والصالحين إذا رأى من بعضهم ما يُخِل فيقول: إنما فعل كذا لخبْث طويته وعدم إخلاصه، وهذا لا يجوز لأنه حُكْمٌ على الباطن وقد أنكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسامة ابن زيد عندما قتل الرجل: «**أفلا شققت قلبه**» [صحيح مسلم]. فدل ذلك على عدم الحكم على بواطن الناس.

وأضف إلى ذلك أن الرجل مهما بلغ من الصلاح فليس بمعصوم من الوقوع في الذنوب والخطايا، وباب التوبة مفتوح، فلماذا يُذمُّ؟

لكن هناك فرق بين أن أحكم على نواياه وبين أن أنكر المنكر وأنصح المخطئ بيني وبينه دون تشهير.

ومَن وجد نفسه تميل إلى التشهير بأخطاء العلماء والدعاة والصالحين في مجالسه الخاصة فليعلم أنَّ هذا مِن الحسد الخفي؛ لأنه لم يبلغ ما بلغوا فعليه أن يُطهِّر نفسه من هذا الداء الخطير المهلك لدنياه وآخرته.

: ǖ ǽƐ‖ ƤǽƳ ƒ ǼƏ ƞǷǾ ǈǕ ƞǤǠǩ [ĒĚ]

۞ عندما سألت عائشة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إجهاد نفسه في قيام الليل: لِمَ تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» [متفق عليه].

ولعل السبب في هذا الجواب دون غيره كأن يقول: أحب أن أشكر الله، أو شكر الله واجب، أما «أفلا أكون عبدًا شكورًا» فهذا الجواب فيه عدة فوائد:

١- امتثال لقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٦]، فقال «أكون» امتثالًا لقوله: «كُنْ».

٢- الأدب اللفظي مع القرآن ولو أجاب بأي كلام آخر كـان صحيحًا ولكن مادة «كن» فيها أدب مع القرآن الكريم.

٣- هناك من يشكر الله، ويُنسَب الشكر إليه ولكن هناك من يقال له «كن» فيكون الشكر في قلبه على دوام السبب ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٥٣].

:ÉλƩūǩł ŭØλƩǩł ğǸ f ηǭķūǩłþ ηDžķƱǫǩ ηǭķǵ Ɲƴƕķə [ēċ]

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره:- أن الله تعالى أنزل القرآن ليعُمل به وذكر فيه قصص الأنبياء لتكون عبرة لتؤخذ منها النماذج الطيبة المثالية لحل المشكلات، ولكي نعرف الحكم الشرعي لمواجهة الحكام الظالمين من خلال القرآن الكريم تأملنا في قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبني إسرائيل وكيف واجهوا ظلم فرعون لهم ولقد كان ظلم فرعون أشد من ظلم الحكام المعاصرين بمراحل كثيرة ولكن مع ذلك لننظر كيف واجه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هذا الظلم الواقع على قومه -بني إسرائيل- وبماذا وجهَّهم وإلى أي شيء أرشدهم.

تأمل الآيات من سورة الأعراف ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعـراف:١٢٧]، ومما هو معلوم أن موسى وقومه كانوا يطالبون بالتوحيد وإقامة الشرع تمامًا كما تطالب الجماعات الإسلامية الأنظمة لتطبيق الشرع وجاء رد علية القوم أن هؤلاء مفسدون في الأرض.

ثم قرر فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ تمامًا كما بدأ الحكام في تفريق المظاهرات عن طريق التشريد والتقتيل بل حال فرعون مع بني إسرائيل أشد وأغلظ.

بماذا أمر موسى قومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]، لم يأمرهم بالمواجهة لهؤلاء الظلمة كما يقول بعض علماء المسلمين اليوم لابد من الحرية والكرامة وأخذ الحقوق بالقوة، فهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعلم الناس بالله وأرحم الناس بقومه وهو بلا شك من أشجع الناس، ولكنه عَلِمَ المفاسد التي يجنيها قومه من أسلوب المواجهة وهم لا سلاح لهم، تمامًا مثل الشعوب العربية.

بعد هذا البيان الموجز هل سمعت بعالم من علماء المسلمين ممن لهم الشهرة يأمر الشعوب العربية بالصبر والاستعانة بالله تعالى ثم انظر المخالفة الصريحة لكتاب الله تعالى في حث الشعوب على الخروج على الحكام. وقد وردت أحاديث نبوية تنهى عن الخروج على الحكام منها ما جاء في البخاري: «اسمع وأطع ولو لحبشيّ كأن رأسه زبيبة»، وفي رواية صحيحة: «اسمع وأطع في عسركَ ويسرك ومنشطك ومكرهك وأَثَرةَ عليك وإن أكلوا مالك وضّربوا ظهرك»(١).

:ϙǸǾǩƗ 2 ƘDzǩƗ ǻ ƴǽǭ Ǽə ƝƳǸƩǸǮǩƗ ϙǸϘűǩƗ ǧǸ ƒ :Ɲƴ/ƕƘə

۞ العلوم الموجودة في أيدي الناس اليوم ثلاثة أنواع:

١- **علم تجريبي**: وهو العلم الذي يتعلمه الإنسان في المدرسة وإلى أن يتخرج من كلية الطب أو الهندسة أو غيرها، فجميع العلوم التي تفيد الناس في دنياهم تعتبر علومًا تجريبية وهي التي سماها الله في كتابه ﴿ظَٰهِرًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأٓخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

---

(١) تخريج السنة للألباني وقال: صحيح.

وأنا أسأل سؤالًا: هذا الطبيب الذي يستطيع أن يُخرِجَ القلب من مكانه ثم يرجعه إليه مع بقاء حياة المريض وهو لا يسجد لله سجدة هل نستطيع أن نسميه عالمًا؟! بالطبع لا، إذن فالعلم الذي من هذا النوع لا ينفع الإنسان عند ربه جَلَّ وَعَلَا.

٢- علم بالدين: وهذا يندرج تحته علم الفقه وأصوله وعلوم الحديث والتفسير وغيرها من العلوم التي تعتبر من علوم الشريعة، ونحن ننظر إلى بعض أصحاب هذا العلم فنجدهم أصحاب قلوب مريضة، تجد أحدهم عنده القراءات العشرة أو دكتوراه في الشريعة يدخل علينا في هذا المجلس فيرى نفسه أفضل الحاضرين... هل مثل هذا انتفع بعلمه.

ومن المشاهَد أن المنتسبين للعلم قد ظهر فيهم الحسد أكثر من بائعي قطع غيار السيارات في السوق أو مصلحي الإطارات وغيرهم أنا أعرف اثنين من هؤلاء متآخين في الله، وليس عندهم علم شرعي ذهب أحدهم من الخرطوم إلى مدينة مدني وتزوج فيها وفي اليوم الثاني سأل عن زوجته هل لها أخت فقالوا له: نعم، فاستدعى المأذون والشهود وجعل نفسه وكيلًا عن أخيه (صديقه في العمل) وزوَّجها له ثم أرسل له رسالة وأخبره بما

فعل فجاءه وقال له: لو لم تفعل هذا فلست بأخي.

ونعود إلى واقع الدعاة والعلماء في هذا العصر فتجد بأسهم بينهم شديد فباسم الدين يكفّر بعضهم بعضًا، وقد تجد الرجل عمره فوق الأربعين يصلي منذ عشرين عامًا أو تزيد ويصوم رمضان فيأتي شاب عمره ١٨ عامًا يخرجه من الملة بكلمة واحدة؛ فهل هؤلاء انتفعوا بعلمهم.

٣- العلم بالله: وهذا هو العلم بأسماء الله وصفاته وهو الذي يورث التقوى والخوف من الله، بهذا العلم لا يمكن أن تخشى سطوة أحد مهما كان قدره، أو تشك في

رزقك أو ما هو مكتوب لك في جميع حياتك، وللأسف الشديد أصبح الكثيرون اليوم يظنون أن الأسباب تأتي بالرزق أو عن طريق الوظيفة أو ما أشبه ذلك.

إنك لو فهمت حق الفهم لعلمت أنك لا زلت في بطن أمك؟ هذا الكلام غريب، ولكن نسألك أليس الله هو الذي ساق لك رزقك وأنت في بطن أمك؟

تقول: نعم، نسأل سؤالًا ثانيًا: ومن الذي يسوق لك الرزق الآن؟ أليس هو الله؟ بلى، إذن ما الفرق بين يوم أن كنت في بطن أمك وبين حياتك الآن؟ إذا قلت إنني أنا الذي أرزقُ نفسي فراجع إيمانك، وإذا قلت إنَّ الذي يرزقني هو الله، فالله هو هو لم يتغير كان يرزقك في بطن أمك وهو الذي يرزقك الآن؟

ÁǫŰ Ǩ g Ǹǫơ ÆǫǩƗ ŋǊæƐƷǩƗ ƘǸǫǢǩƗ ƧÊŰ Ǹǵ ƙǭ ǰæƐǉƘƮǩƗ ƴƒǫ ǧƎƸ :ǋƴƙƘə [ēč]

!ÝǺǩƙūơ Ż Ɨ ƐØŰ

۞ أجاب الشيخ حفظه الله: ثلاثة أشياء بها يحصل العلاج إن شاء الله؟

الأول: أن تجعل الموت نصب عينيك: لأن القلب لا صلاح له إلا بذكر الآخرة، ثم تأمل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، قدم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الموت على الحياة لئلا تنسى الموت فيفسد قلبك، ثم قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ إذن حسن العمل هنا نتيجة لجعلك الموت أمامك، وأنت تقرأ الآية بأيهما تبدأ الموت أم الحياة؟ الموت لأنك تقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ إذن لا بد من تقديم الموت في الذهن دائمًا وأبدًا.

الثاني: قراءة القرآن بتأمل وتدبر: وأفضل الأوقات ما بين الأذان والإقامة والسبب في اختيار هذا الوقت هو أن الملائكة تدعو لك وأنت جالس في المسجد وإن شاء الله تنتفع بالقراءة في هذه الساعة المباركة، وإذا شرح الله صدرك للإسلام انتهت

مشكلتك مع قلبك؛ ونعنى بالإسلام هنا الاستسلام لأوامر الله تعالى الكونية القدرية والشرعية الدينية.

الثالث: عدم التفريط في أداء صلاة الجماعة: مهما كلفك الأمر لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]، وسبحان الله!! تأمل عبارة ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جاءت هذه العبارة هنا في تعمير المساجد لكيلا تجامل أحدًا، وأنا أحكي لك كلامًا من واقع الناس حتى تعلم أنهم لا يخشون الله تعالى: لو جاء أحد معارفك إلى زيارتك، وعندما طرق الباب خرجت إليه وقلت له: اسمح لي لا أستطيع الجلوس معك لأنني خارج إلى العمل؟ كيف سيكون استقباله لهذا الاعتذار، لا شك عن طيب نفس، ولكن لو جاءك بعد الأذان واعتذرت له بأنك لن تدخله لأنك ذاهب إلى المسجد سيقول: أنا مسلم، وسوف يتضايق ويظن بك الظنون؛ بل ربما قاطعك إلى الأبد.

ومن الواقع أيضًا قد يكون الرجل جالسًا مع ضيوفه في بيته وعندما يؤذن الأذان يستحي أن يقول لهم أنا خارج إلى الصلاة، وللأسف قد يكون الضيوف ممن ينسبون إلى المشيخة والعلم، ولهذا جاءت هذه الجملة في الآية ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

:ηǭäł ηǮǽʒǵ łɯƽ ğǸƒ :Ɲyʃʮĸə [ēĎ]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أن الواقع الذي تعيشه الأمة إنما هو بسبب ذنوبها ومعاصيها والمشكلة أن هناك مخالفات لا يشعر بها أصحابها ومن ذلك أن الداعية وليكن الشيخ إبراهيم – مثلًا –يذهب إلى صلاة الجمعة بملابس جميلة وهي المطلوبة في هذا المقام لكن لو قيل له عندك لقاء في قناة الجزيرة لن يرضى بنفس هذه الملابس بل سيزيد عليها ما يزيده جمالًا في أعين المشاهدين؟ فهل هذا الداعية لا يعلم نظر الله إليه، حين ذهب إلى الجمعة، فلو حوسبنا حساب ملابس فقط لاستحققنا وصول أمريكا إلى ديارنا.

لأن المشكلة تكمن في مراعاة المخلوق والنظر إليه ومراقبته أكثر من مراقبة الخالق جَلَّ وَعَلَا وإلى الله المشتكى.

:ĠØǩƑ ƝǸŨƴǩƚƥ ƴØ ƒ ǸǭǩƗ ğǸ ƒ :Ɲƴƕƙə [ēď]

۞ اعلم أيدك الله بنوره: أن التوحيد لا يحتاج إلى قراءة مؤلفات وإنما فقط الرجوع إلى القرآن الكريم والنظر في السماء والأرض، ومما يدل على توحيد الله تعالى ما ورد في سورة الأنبياء ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]، وما دامت السموات والأرض ليس فيهما فساد فإن هذا يدل على وجود الله ووحدانيته، فالذي يطلب علم التوحيد من غير هذا الطريق فإنه سوف يضل لأنه ترك القرآن.

ومن أراد أن يدعو غير الموحد إلى التوحيد فإنه يلزمه بأن يثبت الشريك لله تعالى، لأنني أنا موحد وهذا هو الأصل ومن ادعى أن معه الشريك فهو الذي يجب عليه إثبات هذا الشريك: «البينة على من ادعى»، ثم أن هذا هو الذي نطق به القرآن ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]، ﴿ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]، ولهذا لما ترك كثير من الدعاة إلى الإسلام هذا الأصل في دعوة الكفار تعبوا دون فائدة تذكر.

:Ɲƴƥƥƕƙə [ēĐ]

۞ اعلم أيدك الله بنوره: أن الإيمان يأتي عن طريق الخبر دليله ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا ﴾ [آل عمران:١٩٣]، والعلم لا بد له من مشاهدة ﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة:٢٦٠]، وقال الله لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، كيف يعلم؟ في النظر إلى آيات الله الكونية، لأن العلم يحصل بالمشاهدة كما ذكرنا، وقد حصل له الإيمان في الوحي وأشار الله إلى ذلك أيضًا

في سورة التكاثر ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ [التكاثر:٥-٦]، فجعل العلم مقابل الرؤيا (تعلمون) ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ وسيأتي مزيد بيان لهذه الفائدة في الفائدة رقم (١٥).

:ǳƸǾŰƿ ǯŧYǸȿ ǩŧ Ǽə ƞUǾ ǂ ǮǫǩǨ ƴƚƙȿ ǩŧ ǫǸƕǞǮǩŧ ğǸ ƒ :ƝƴƚƙƏ [ēđ]

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره-: أن مفهوم المشيخة لدى الطرق الصوفية في السودان من أيام دولة الفونج الى يومنا هذا مفهوم مغلوط هو السبب في جعل الأسر تنفر من المشايخ، والمفهوم هو أن الشيخ له حقوق ولكن ليس عليه واجبات، وهذا يعني أنَّ الطالب أو المريد يعطِّل حقوق أفراد الأسرة كلها من أب وأم وإخوة وزوجة وأبناء ويخدم الشيخ، ولكي نصحح هذا المفهوم نقول لشيوخ الطرق الصوفية بل وغيرهم علِّموا طلاباكم ما أوجب الله عليهم من حق الغير، أليس للأب حق على ولده وللزوجة حق على زوجها ولهذا فهم عندما يرون الطالب يؤدي حقوقهم سيكونون جميعا مع الشيخ بقلوبهم وإن لم يأتوا للدراسة عنده، لأنهم رأوا ثمرة ذهاب هذا الفرد إلى الشيخ من الأسرة في قيامه بحقوقهم والله أعلم.

:¬ Ǥ Ɯ ƒ à ǼƊǄ¼ :ƵǨūǮǩ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ǼƜǲǩŧ ğǸā Ǽə :ƝƴƚƙƏ [ēĒ]

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» السلسلة الصحيحة للألباني هذا الحديث قاله لعامة الأمة ولكن لا يلزم معاذا لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يا معاذ، إني لأحبك**»، كيف يكون حال معاذ هل يحتاج إلى أن يكون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أحب إليه من ولده ووالده.. وقد سمع ما قال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، بل وكذلك قل في عائشة وأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، لأنه عندما سئل مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: عائشة، ثم مَن؟ قال: أبوها، فعائشة والصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قد تجاوزا هذه المرحلة «**حتى أكون أحب إليه..**»، وذلك لحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لهما وهكذا كثير من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

:ηǾǭÊ 5 âł ǸǸ̀Ʊ äł Ǹyƕķə [ēē]

۞ اعلم أيدك الله بنوره: أن الإيمان يجلب الأخوة بين المؤمنين: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، ونحن نفهم من الآية أنَّ دور المؤمن هو السعي في تقوية إيمانه وليس البحث عن إخوة مؤمنين ثم يقول هذا أخي في الله، كلا بل إذا اشتغلت بتقوية الإيمان حصل المقصود من الأُخوة في الله.

ثم نسألك على أي أساس تقول: هذا أخي في الله؟

الجواب: إذا كنت أنا حريص على الصلاة في الجماعة فأجد زيدًا من الناس إما أن يسبقني إلى المسجد أو يأتي بعد دخولي المسجد بقليل، عندما يتكرر هذا المشهد هنا أحس بأننا أخوة في هذا الباب ألا وهو المسارعة إلى الصلاة في الجماعة.

مشهد آخر: قام رجل بطلب تبرعات لجهة ماء؟

حدثتني نفسي أن أقوم فأتبرع، فإذا بهذا الشخص المذكور أولًا يقوم فيتبرع أو كذلك غيره هنا أستطيع أن أقول هذا أخي في الله وإذا حصلت الإخوة فاسمع هذا الحديث: «المؤمن مرآة أخيه المؤمن» [سنن أبي داود]، فلو دخل المؤمن المسجد وفيه ١٠٠ رجل ٩٩ منهم منافقون وواحد فقط مؤمن لمال قلب هذا الداخل إلى المؤمن الجالس في المسجد ونَفَر من هؤلاء جميعًا. وقس على ذلك.

ƸǭàǓǸ̀ǸJŪǩł ƥ :ǸǸ̀ǶDžǩł ā ÊƱƎƛ ĀǫUƣǩł ƥ ÆǫǮüǩł ǓĸǶơèł ηǾNJā ğǸ̀ ƒ Ǹyƕķə [ēĔ]
: 5 ĀDžǩł ǹǸǵ ǜ ǩĸUǽ ĸǭyDžŪ Ż ł

۞ وأضرب لذلك مثالين من الواقع الأول سلبي والثاني إيجابي:

الأول: أحد المشايخ اختلف مع أخيه في قضية: وهي أن الشيخ طلب أن يكون زواج أختهم في المقبرة وذلك بناءًا على رؤيا رآها لبعض المشايخ حيث أمره بذلك، فقال له أخوه: لا يمكن عقد القران في المقبرة ثم قال له عمن جاءوه في المنام قال تعالى: ﴿ تِلْكَ

أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة:١٣٤]، قال الشيخ ـ وقد نفض يده سيبك من هذا الكلام ـ يعني أترك هذا ـ ويعني بذلك الآية التي تلاها عليه أخوه، فانظر إلى هذا الموقف من هذا الشيخ، كان من المتوقع أن يخضع للقرآن ولكنه هوى النفس عياذًا بالله تعالى منه.

الثاني: يقول الشيخ عن نفسه كان هناك خلاف بيني وبين أحد إخوتي فقلت ذات يوم لأولادي: عليكم بصلة الرحم ولا تقطعوها، ولا تنظروا إلى الخلاف الذي بيني وبين عمكم، لما جاء العيد ذهب ابني حسين مع إخوته إلى عمهم دون علمي وكان ذهابهم وقت الإفطار وأرادوا أن يهنئوا عمهم بالعيد ويفطروا معه، فما كان من عمهم إلا أن فرح بهم فرحًا شديدًا، وقال لو لم يكن لما في العيد سوى هذه الزيارة منكم لكفى، ثم اتصل بأخيه الشيخ إبراهيم ـ وأخبره بالخبر واخبره بفرحه ثم جاءه فيما بعد وانحل الخلاف الذي كان بينهما، فانظر إلى ثمرة طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، بل قال الشيخ وعندما أردت السفر إلى الدوحة جاء أخي هذا واحتضنني وبكى بكاءًا شديدًا.

:ŋǭǩǵ Ɲy/ƕǩə [Ĕċ]:

۞ اعلم –أيدنا الله وإياك بنوره–: أن الخير كله في مخالفة النفس: قال الشيخ: إذا عُرض عليك أمران أحدهما مالت إليه نفسك والآخر أعرضت عنه فخذ الذي أعرضَتْ عنه فإن فيه الخير، ثم حكى أنه ذات مرة أراد أن يذهب إلى عزاء فقال لتلميذه ـ ميرغني ـ لقد مللنا من كثرة المجاملة للناس في هذه المناسبات، لا حاجة لنا إلى الذهاب قال: ثم تأملت في نفسي فوجدتها مغطبطة ولا تريد الذهاب فخالفتُها وقلت لنذهب الآن قال: فلما وصلنا إلى خيمة العزاء إذا بصاحب العزاء يقول لي يا شيخ، هل هذا حال أناس يذكرون الموت، أو أنهم في مكان عزاء (حيث كان الناس يتكلمون بكلام فارغ كثير)، قال ثم جمع له الناس، ثم بدأ الشيخ بإلقاء كلمة، كانت سببًا في توبة عدد كبير منهم ورجوعهم إلى الله، ومن بينهم خال صاحب العزاء حيث قال خالي هذا منذ أن عرفته ما رأيته يبكي إلا في هذا اليوم، وكان خاله قويًّا ضخمًا فظًّا.

لقد شرح الله صدره في تلك الساعة بسبب كلمات شيخنا إبراهيم- حفظه الله تعالى- فمحل الشاهد من القصة أن الشيخ خالف نفسه وذهب للعزاء؛ ثم إنني قرأتُ عن بعضهم كان كافرًا واسلم ـ سئل ما الذي دعاك إلى الإسلام قال: إنني امشي بقاعدة: مخالفة النفس يأتي بالخير، فعرضت الإسلام عليها فأبت فعلمت أن الخير في مخالفتها فأسلمت.

:ǸÊdžǩł Æə ǰØūǩł ǸƩā ğǸ̀ ƭ Ǹƴƒǩə [ĚČ]

۞ اعلم أيدك الله بنوره: أن كل مسلم له قرة عين تكون في الصلاة على حسب معرفته بالله تعالى [أي كلما قويت المعْرفة بالله كلما كانت صلاته أكمل خشوعًا وخضوعًا لله، وكلما ضعفت المعرفة بالله كلما كان بعيدًا عن الخشوع في الصلاة]، وأقر الناس عينا بالصلاة هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه أعلم الناس بالله وأسرعهم إلى مرضاته ومناجاته.

:Ǻǩǩūơ ǴǩǸ̀ā ƸØȿ Ā̈ơ Æə Ǹƴƒǩə [Ěč] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾
:ƙǵƸƱđ Ǻǩƒ [ĐĐ:ƷǸ̀Dzǩł]

۞ لماذا جاءت كلمة (منكم) بين (الإيمان والعمل الصالح)؟

أو لا نريد أن نعرف أين جاءت (منكم) في غير هذا الموضع نجدها في قوله تعالى متحدثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾ [التوبة:٦١]، أي ليس لجميع المؤمنين.

وجاءت (منكم) في الحديث عن الصحابة ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [آل عمران:١٥٢]، فليس كلهم يريد الآخرة وأيضًا ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ليس كل الصحابة، إذن هاهنا إيمان خاص في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾ ولهذا أسرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة بأسماء المنافقين.

۞ وليس كل عمل صالح يدل على إيمان صاحبه بدليل أنه لا فرق بين المؤمن والمنافق في الأعمال الصالحة في ظاهر الأمر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢]، والكسل شيء داخلي، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، شيء داخلي أيضًا، إذن لا فرق في العمل الصالح الذي يأتي به المؤمن والذي يأتي به المنافق إلا في البواطن أما في الظاهر فلا فرق.

۞ هذه ناحية في الآية أعني ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ.

وهناك ناحية أخرى وهي أن هذا الوعد هنا ليس لنا تجاهه إلا أن ننتظر تحققه ووقوعه وذلك لأنـه جاء بصيغة الخبر المقسم عليه وليس بصيغة الأمـر فتأمل هذه الكلمات من الآية ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾، فاللام تـدل على القسم وعلى التوكيـد.

[لكن المشاهد اليوم من الجماعات الإسلامية أنها تسعى في الوصول إلى الحكم بناءًا على هذه الآية وليس المراد كذلك، بل المطلوب تحقيق الإيمان في القلوب لأن الله قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾].

[ĔĎ] Ǌyƒuƙə Ǽə ǁ Ʃƫ ƒ ƴ̸ƴæƤ: ¼ǥǩ ƙǩ ƸǞǯƷǲ ǵǬ ǥǩ Ƚ Ƶ ƿƱǨǲƽǟǤǴ¬ [ǲǯǬƬ ƚǤǩƩǛǾ ƚ]:

۞ اعلم -أيدك الله بنوره-: أنَّ لفظ الجلالة (الله) يسمى بالاسم الجامع لأنه يجمع جميع صفات الله وأسمائه الحسنى كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢] إلى آخرها، فإذا استعمل أنسان اسم الله ننظر بحسب المقام ماذا يريد به؟

فمثلًا رأيت مريضًا في المستشفى وهو يتأوه ويقول: «الله الله الله»، ماذا يريد به يريد اسمه الشافي، رأيت مسكينًا يقول: «يا الله» ماذا يريد، إنه يريد اسمه تعالى المعطي، وهكذا... بالنسبة للحديث الذي معنا بحثنا فوجدنا في اللغة العربية أن كلمة

«خاصته» لا تستعمل إلا مع الملوك فيقولون: هذا من خاصة الملك فلان، إذن المراد بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»، أي أهل الملك، وإذا كانوا أهل الملك فهل يضيعهم وهو الذي له ملك السموات والأرض «وإذا كانوا أهل الملك هل يحتاجون إلى سؤال الناس لبناء المسيد أو الخلوة أو يحوجهم إلى سؤال الناس الإعاشة... الخ»، لابد لأهل القرآن أن يستغنوا بالملك عمن سواه ولا يكون هذا إلا بتمام التوكل عليه والعمل بالقرآن، ولقد رأيت رجلًا صاحب مسيد عنده عدد كبير من الطلاب جاءه أحدهم في وقت الضحى -وكان الشيخ نائمًا في ساحة المسجد- قال الطالب: يا شيخ المخزن ليس فيه حبة قمح واحدة، فكشف الشيخ عن وجهه وقال: وأنا مالي أي ما دخلي في الموضوع، وهل أنا الذي فتحت المسيد، فانصرف الطالب، قال الشيخ إبراهيم، وبعد قليل: جاء لوري مليئًا بالبر أو الذرة فافرغ كاملًا في مخزن المسيد، قارن بين هذا وبين الذين يسألون الناس من أهل إقامة الخلاوي وغيرها من المراكز الإسلامية وانظر أين توكلهم على الله تعالى؟

:ηǭƙơ η ŏŨŇǭƿ ηǭƙǵ Ɲyƒuƙə [Ĕď']:

۞ اعلم أيدك الله بنوره: أنَّ مَن حقق الاتباع للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته ظاهرًا وباطنًا لا بد أنه تحصل له هذه الفوائد من القرآن الكريم وهي:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤]، أي أن الله سيكفيك في جميع أمورك، ومَن كان الله حسيبه لن يضيع ولن يحتاج إلى آخر، ولكن أين هو تحقيق الاتباع به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العبادات والأخلاق والدعوة...الخ. لتحصل لنا الكفاية من الله.

٢- ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، فإذا كان الناس يدعون إلى الله، والمتبع له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو

إلى الله فسوف تكون له من البصيرة في دعوته ما ليس لغيره من الدعاة، وذلك لتميزه بالاتباع.

٣- ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، هذه من أعظم فوائد اتباعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي أنَّ المتبع ينال محبة الله عَزَّ وَجَلَّ وقد جاء في الحديث القدسي: «**فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصِرُ به، ويدَه الَّتي يبطِشُ بها، ورِجلَه الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه**» [صحيح البخاري]، لاحظ معي قوله: «كنت سمعه»، لم يقل أُذنَه بل سمعه الذي يسمع به، وهكذا في بصره لم يقل عينه التي يبصر بها، والفرق بينهما واضح فليس للجارحة مدخل في القضية، ولكن الأعجب من هذا كله قوله: «رجلَه الَّتي يمشي بها»، هل رأيتم رجلًا يمشي برجل واحدة... لكن هاهنا توحيد وانظر هذا مع قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

٤- من الآية السابقة أن المتبع ينال مغفرة الله تعالى والمغفرة لا تعني مسح الذنوب بل تعني التغطية مأخوذة من المِغفرِ وهو غطاء يلبس في الرأس لحمايته في الحرب وهي في هذا المقام تفيد ستره في الدنيا والآخرة يفضحه الله بذنب ببركة اتباعه للحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

:ηǭǩǵ Ɲy℔ǩə [ĔĐ]

۞ اعلم أيدك الله بنوره: مما يدل على بطلان أخذ البيعة بين المريد والشيخ التي عند الصوفية: أن الشيخ يشترط في البيعة المتابعة للطريقة المعروفة لديهم في المنشط والمكره، وهل الشيخ نفسه عنده هذه المتابعة في المنشط والمكره ثم نسأل وهل الشيخ معصوم وضمن حفظ الله له من المعاصي طيلة حياته؛ وهل أَمِنَ على نفسه من الكفر والنفاق؟ وهل ضَمِن لنفسه حسن الخاتمة؟ حتى يبايع طلابه على ذلك وليس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠]، دليل على البيعة لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصوم وإتباعه واجب أما غيره فلا. والله يتولى هُداك.

:ηộộā Ƹă ƽϱ Ǽə ηộộΣ Ɲyƕƙə [Ěđ]

۞ انظر أيدك الله بنوره: إلى أين يقودك الله تعالى إلى الهدى والطاعة أم إلى الغفلة والمعصية والضلالة، فإن كانت الثانية فخذ حذرك لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» [صحيح البخاري]. ففيه إشارة إلى أن من كان أغلب أحواله المخالفات فقد أبى دخول الجنة.

وأما إن كان أكبر همك أداء الصلوات مع الخشوع فيها فهذا إشارة إلى أنك ستكون من أهل الجنة، فما تلبسه هنا تلبسه هناك.

:DKÓWDZ äł ğK f ηəƸūǭ ǰǭ DKŪyǩł ηƛK ȴ ɑƽł Ǽə Ɲyƕƙə [ĚĒ]

۞ اعلم أيدنا الله وإياك بنوره: إنني تأملت في سورة الأنبياء فوجدت الله قد أخبر أنه استجاب دعاء أيوب وذا النون وزكريا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء:٧٦] في جميع دعواتهم، والسر في هذه الإجابة وجدته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وهذه المسارعة تكون بأداء الصلاة مع الجماعة والخشوع فيها والإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن وصلة الأرحام وكفالة الأيتام والعطف على الفقراء وما شابه ذلك، ثم بعد ذلك ادع الله تعالى؛ وهذه إحدى فوائد معرفة أحوال الأنبياء وفائدة الاقتداء بهم والله يتولى أحوالك.

[Ĕē] Nyŀƙə: ǰøæƺ ƒ ǟŃǼ ǡŧ ʒƙƨƂ yǖƛ ǴƙǸǡ ǺƙƘǖơ: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

۞ اعلم -أيدنا الله وإياك بنوره-: أن الله أنزل بعد آية السرقة قولـه تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:١٠٧]، ولعل الكلمة في هذا النسق لنعلم أنه ما دام الله هو مالك السموات والأرض فله أن يتصرف سبحانه في ملكه كيف يشاء ولا يجوز لمعترض أن يعترض عليه في أحكامه الشرعية من حد السرقة أو القصاص أو ما شابه ذلك لأنه من المعلوم ضرورة أن الإنسان إذا تصرف فيما يملك كان من العيب أن ينتقد أو يقال له لم فعلت كذا أو كذا فكيف يوجد من يعترض على الله تعالى في تشريعاته ويقول لا بد من حقوق الإنسان.

وهناك مسألة أخرى زيادة على كون أن الله يتصرف في ملكه كيف يشاء ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ألا وهي هل سيكون الإنسان أرحم بالإنسان من الله عندما يضع له قوانين لحل المشاكل ولتسير الحياة، فالله هو الأرحم والأعلم والأحكم جَلَّ وَعَلَا.

[ĔĔ] ƝyŀƙƏ ƞǬǾǬƩ Ǽə ǥ ƞǾǵŧƸ ƟŃʒƙŧ ƒƿ ŧ ƝƙǾƮƙŧ:

۞ أعلم -أيدك الله بنوره -: أن المشكلة ليست في كراهة الموت ولكن نسألك ولماذا تكره الموت؟

فإن كنت تكرهه لأجل التمتع بالحياة الدنيا وملذاتها وشهواتها والازدياد من المال والجاه فتلك هي الخسارة بعينها.

وأما إذا كنت تكره الموت لأنك تريد الازدياد من الطاعة والاستقامة والقرب من الله والزيادة من معرفة الله تعالى فهذه الكراهة للموت نافعة لصاحبها، ولكن يبغي سعة قلبه لما يتلقى من معارف وعلوم إلهية.

وكذلك يقال لماذا تحب الحياة؟ ومن هنا كان ذم الله تعالى لليهود ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، أرادوا الحياة وأحبوها لأجل شهواتهم وملذاتهم [سيأتي مزيد بيان في كتاب التفسير].

:ǹŇÆǬǩŁ ğŇ ƒ ǫŇĦĀǭ TØŢdžơ :ŊƴƕǨə [Čċċ]

۞ اعلم أيدك الله بنوره أن هناك من يظن أنَّ من شرط التقوى ألا يقع صاحبها في المعصية بل بعض الأتقياء إذا وقع في الذنب ظن أنه فارق التقوى وهذا مفهوم خاطئ بدلالة نصوص من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

فتأمل هذه الآيات تجد أن الله تعالى مدح الأتقياء بعدد من الصفات فهم ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ مع قدرتهم على إنفاذه ويعفون عمن أساء إليهم ويحسنون في عبادتهم لله كما يحسنون إلى خلق الله ولكن مع ذلك قال في حقهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ فهذا التقي غير مبرأ من الوقوع في الفاحشة ومعلوم أن الفاحشة من كبائر الذنوب فضلًا عن غيرها من الصغائر ومع ذلك لا يجوز أن يقال أنه خرج عن حد السرقة، ولهذا لما سئل الجنيد أيزني الولي قـال: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

وينبغي أن تعلم أن الله تعالى يقّدر الذنب على العبد لكيلا يقع فيما هو أكبر من الذنب ألا وهو العجب لاكما أخبر بذلك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حيث قال: «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أعظم من الذنب؟ العجب**»(١). وقد سبق أننا ذكرنا كثيرًا من فوائد الوقوع في الذنب وخصوصًا في حق الأتقياء.

---

(١) الترغيب والترهيب.

واعلم أيدك الله بنوره: أنَّ التقي يتميَّز عن غيره في قضية الوقوع في الذنب أنه لا يصبر عليه بل يرجع سريعًا كما قال تعالى في ختام الآيات السابقة ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٥]، فهذه الجملة ذكرت عدم إصرارهم، والجملة التي قبلها بينت مسارعتهم إلى التوبة إلى الله ﴿**ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ**﴾ ولا شك أنَّ من يذكر الله يرجع ذنبه، والله أعلم.

❁❁❁

الخاتمة

الحمد لله آخرًا كما حمدت الله أولًا على ما أولانا سبحانه تعالى وأنعم علينا من سماع لهذه الدروس ثم كتابتها وتنسيقها ونرجو الله كما وفَّق لذلك كله أن يوفق للعمل بها وأن يكتب لشيخنا إبراهيم محمد زين القبول، وأن يكتب لهذه الفوائد الانتشار والوصول إلى أكبر عدد من المسلمين ونسأله تعالى أن يرفع الهمم ويزيد في الإيمان ويصلح الأعمال.

وبعد: فإنَّ هذا النوع من العلم أعني جمع الفوائد وتقريبها للناس أصبح ضرورة في هذا العصر لعدد من الأسباب فهي:

١- كثرة الأشغال وعدم وجود الوقت الكافي للبحث في كتب العلماء سواء كانت في التفسير أو شروح الحديث أو غيرها.

٢- استقبال القلب والعقل والوجدان للمعلومة الشيقة السهلة في فهمها القيمة فيما تحويه من معانٍ.

٣- كون الفوائد خطابها مباشر إما في تصحيح مفهوم أو رفع همة أو لفت انتباه لعمل صالح غائب بطريقة تثير الاهتمام، والأهم من ذلك كله شحن القلب بالإيمان وتوجيهه إلى معرفة الرحمن ولهذا أدعو كل من تلقى هذه الفوائد بالقبول أن يسعى في إيصالها لغيره ولو بأن يترجمها إلى غير اللغة العربية.

والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا، وصلى الله على نبينا وآله وسلم.

❁❁❁

الفهرس

المقدمة ٥

قاعدة وتأصيل في بيان أسباب السعي في معرفة الرب الجليل ١٣

فائدة من عرف نفسه فقد عرف ربه ١٥

فائدة في الفرار إلى الله تعالى ١٦

فائدة كون الإيمان يأمر وينهى............................. ١٧

فائدة ليس كل مؤمن تقي ١٧

فائدة تفسيرية ١٧

فائدة من قول معاذ إذًا يتكلوا ١٨

فائدة مأخوذة من حديث قدسي في عدم الاغترار بالأعمال ١٨

فائدة تفسيرية في قوله تعالى أن عبادي ليس لك عليهم سلطان........ ١٩

تنبيه هام ١٩

فائدة هامة في التربية ٢٠

فرق بين علمين ٢٠

شبهة وجوابها ٢٠

نكت علمية حول فضائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢١

فائدة حول حزن يعقوب على فراق يوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ٢٣

لفتة هامة إلى أحد مقامات الإيمان ٢٤

لفتة إلى منزلة أخرى من منازل الإيمان ٢٤

لفت انتباه.. ٢٥

فرق بين العلم والإحاطة.................................. ٢٥

احذر من إنكار فضل الله على بعض عباده ٢٦
فوائد مهمة لتبدر القرآن والوصول إلى مقاصده ٢٧
فائدة هامة وموعظة تامة........ ٢٩
فائدة أخرى قريبة منها ٣٠
فائدة تربوية ٣٠
فائدة في أسباب الغنى والقناعة ٣١
جزاء من جنس العمل ٣١
من آداب طالب العلم ٣٢
فائدة الأنس بالله وحاجتنا إليه في الدنيا والآخرة ٣٤
فائدة أخرى من جنسها ٣٤
حكمة جليلة في أسطر قليلة........ ٣٥
لفت انتباه احذر الانتقاد العملي للآخرين ٣٥
نكتة لطيفة في المقارنة بين مريد الزواج ومريد الآخرة ٣٦
هل من صاحب بصيرة ٣٦
فائدة جليلة في أن النفس ليس لها في التقوى من حيلة ٣٧
فائدة في الفرق بين الوسيلة والعلامة في محبة الله تعالى ٣٨
فائدة عجيبة من آية كريمة ٣٩
فائدة أخرى مثلها ٣٩
فائدة في حديث الاستخارة ٤٠
فائدة في حديث «فاظفر بذات الدين» ٤٠
فائدة حديث «خيركم خيركم لأهله»........ ٤١
فائدة في الحديث سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هم أولياء الله ٤١

فائدة من حديث «اللهم إني أصبحت أشهدك» ٤١
فائدة في حديث «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» ٤٢
فائدة هناك خطأ شائع يؤدي إلى قدح إخلاص الأنبياء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ٤٢
فائدة علامة وأي علامة ٤٣
فائدة أخرى مثلها ٤٣
فائدة تحبب الناس في الله تعالى ٤٤
فائدة في لفت الانتباه إلى السلام والتسليم على رسول الله صلوات الله عليه ٤٤
فائدة حول علامة الولي من بين المسلمين ٤٦
فائدة أخرى من جنسها ٤٧
فائدة أخرى من جنسها تصحيح لمفهوم خاطئ ٤٧
نكتة عجيبة في الحكمة من إهباط آدم إلى الأرض ٤٩
لفتة عجيبة في معنى آية كريمة ٥٠
فائدة في علامة واضحة على حب الله إياك ٥١
فائدة في مفهوم الرجولة في القرآن الكريم ٥٣
فائدة بين الصالحين والمصلحين في القرآن ٥٤
فائدة حول نوع الإيمان المنجي من عذاب القبر ٥٥
لفت انتباه إلى نوعية من يحبك من الناس ٥٥
فائدة في الأثر السيئ في تقدم العلم على تزكية النفس وتهذيبها ٥٦
فرق دقيق بين جاهدوا فينا وجاهدوا في سبيل الله ٥٧
نكتة عجيبة في آية كريمة ٥٨
لفت الانتباه من أين نتعلم معرفة الله وتوحيده ٥٩
فائدة عجيبة من آية كريمة ٦٢

السر في عنف بعض الدعاة ٦٢
ما هو السبب في تكليف البشر ٦٣
احذر الدعوى فإنها سبب الابتلاء ٦٥
فائدة هامة وموعظة تامة ٦٥
النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق مدح المادحين ٦٥
ليس من الأدب مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوسل به إلى الله تعالى في قضاء الحوائج ٦٦
لفتة كريمة في حديث قدسي شريف ٦٧
فرق بين الفعل والوصف في التراحم بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الكرام........ ٦٨
لفت انتباه النعمة الحقيقة أو نعمة النعمة ٦٨
لفت انتباه آخر الحاجة إلى شيخ بعد الاستقامة ٦٩
فائدة عجيبة في الوقوع في المعصية ٧٠
فرق بين الإيمان بالله والعلم بالله ٧١
احذر من الحكم على العاصي أو المبتدع في آخرته ٧٢
لفتة عجيبة في حديث شريف ٧٣
فائدة هامة حول الربيع العربي ٧٤
فائدة حول العلوم الموجودة في أيدي الناس اليوم ٧٥
ما هو علاج القلوب المريضة ٧٧
سبب هزيمة الأمة ٧٨
فائدة حول التوحيد والدعوة إليه ٧٩
فائدة الإيمان يأتي عن طريق الخبر ٧٩
فائدة حول المفهوم السائد للمشيخة في السودان وغيره ٨٠
فائدة في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «إني لأحبك» ٨٠

فائدة الأخوة الإسلامية ٨١
فائدة حول قضية الاتباع العملي ٨١
فائدة هامة الخير كله في مخالفة النفس ٨٢
فائدة حول قرة العين في الصلاة ٨٣
فائدة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ٨٣
فائدة في شرح حديث «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» ٨٤
فائدة هامة وموعظة تامة ٨٥
فائدة هامة مما يدل على بطلان أخذ البيعة بين المريد والشيخ التي عند الصوفية ٨٦
فائدة جليلة في أسطر قليلة ٨٧
فائدة في استجابة الدعاء من معرفة حال الأنبياء ٨٧
أين حقوق الإنسان؟ ٨٨
فائدة جليلة في كراهية الموت وحب الحياة ٨٨
تصحيح مفهوم حول التقوى ٨٩
الخاتمة ٩١
الفهرس.. ٩٢

~